أولاً

قسم التفسير

الحروف الاهتزازية ودلالتها الإعجازية

دراسة في علوم القرآن

إعداد

د/ إبراهيم عباس سلمان عبد الرحمن

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد

كلية أصول الدين والدعوة

جامعة الأزهر. فرع أسيوط

١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م

الحـــــروف الاهتزازية ودلالتها الإعجازية دراسة في علوم القرآن

إبراهيم عباس سلمان عبد الرحمن
قسم التفسير وعلوم القرآن ، كلية أصول الدين والدعوة بأسيوط ، جامعة الأزهر بمصر
البريد الإلكتروني:ibrahimAbbas.2348@azhar.edu.eg

الملخص:

يعالج هذا البحث موضوعا من أهم موضوعات الإعجاز القرآني، وهى تلك الحروف الاهتزازية التي استعملها القرآن الكريم ،وتكررت بطريقة لافتة للنظر والسمع، فهي تهتز في الأذن، وتشكل ايقاعا متميزا لما فيها من أبعاد جمالية شكَّلها الجَرس الموسيقي لتلك الحروف ،ومنها تشكَّلت الألفاظ التي تُشعر بالمعنى ،وتُحرك الخيال نحو سلسلة من المعاني تتداعى متصلة بالكلمة، ولما كان لهذه الحروف دلالات إعجازية فقد حاولت في هذا البحث الوقوف عند ما ورد منها في القرآن الكريم بُغية الكشف عن أوجهها الإعجازية.

مشكلة البحث: ما الدلالة الإعجازية للحروف الاهتزازية؟ ويتفرع عنه مجموعة من الأسئلة منها: ما مفهوم تلك الحروف ؟ وما مدى عناية العلماء بها؟ وما الدلالة الإعجازية لها؟ وهل لها دور في تحقيق مقاصد القرآن الكريم؟ وما دورها في إبراز الانفعالات النفسية ؟

أهداف البحث: يهدف هذا البحث إلى دراسة الحروف الاهتزازية ،وبيان دلالتها الإعجازية في ضوء التفسير وعلوم القرآن والكشف عن مفهوم تلك الحروف ،وبيان عناية العلماء بها، وقيمتها الدلالية ،وأثرها في بيان إعجاز القرآن الكريم وتحقيق مقاصده، ودورها في إبراز الانفعالات النفسية والإيحاء بالمعنى المراد.

منهج البحث: استخدمت في بحثى المنهج الوصفي والاستقرائي والتحليلي، المتكامل، للوقوف على صيغ الحروف الاهتزازية في القرآن الكريم، وأساليبها البلاغية، وروائع دلالاتها الإعجازية.

مكونات البحث: جاء هذا البحث في مقدمة، وفصلين، وخاتمة، بجانب ثبت للمصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات. المقدمة: تضمنت ،موضوع البحث، ومكوناته ، ومشكلته ،وأهدافه، وأهميته وأسباب اختياره ، ومنهجه ثم الفصل الأول: تحديد المصطلحات والمفاهيم. الفصل الثاني: الوجه الإعجازي للحروف الاهتزازية. ثم الخاتمة وفيها أهم النتائج وأبرز التوصيات، ثم المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

نتائج البحث ومن أهمها: توصل البحث إلى نتائج منها: أن مفهوم الحروف الاهتزازية له أصوله عند علماء اللغة والبلاغة والتفسير وعلوم القرآن. وأنها ذات أثر فعال في بيان المعنى وتجليته، فهي مظهر من مظاهر إعجاز القرآن. وأنه وظّفها توظيفا يقصد منه تصوير المواقف بما تحتويه الأصوات اللّغويّة من دلالات. فلا يمكن لأي نص لغوي غير القرآن الكريم أن يؤدى هذا الدور.

أبرز التوصيات: ضرورة البحث في الجوانب المختلفة للإعجاز القرآني، ومنها الإعجاز اللغوي. إجراء دراسات حول أثر الحروف الاهتزازية في التفسير. قيام دراسات حول الإعجاز الصرفي لألفاظ القرآن الكريم لكونه من أهم مجالات الإعجاز القرآني. والتأكيد على أهمية الدراسات اللغوية لألفاظ القرآن كونها من أكبر المعين على تفسيره.

الكلمات المفتاحية: الحروف الاهتزازية، الدلالة الإعجازية، علوم القرآن.

Vibratory letters and their miraculous significance – a study in the sciences of the Qur'an

Ibrahim Abbas Salman Abdulrahman

Department of Interpretation and Quranic Sciences, Faculty of Fundamentals of Religion and Da'wah in Assiut, Al-Azhar University, Egypt

Email: ibrahimAbbas.2348@azhar.edu.eg

Abstract:

This research deals with one of the most important topics of Quranic miracles, which are those vibrating letters used by the Holy Qur'an, and repeated in a striking way and hearing, they vibrate in the ear, and form a distinct rhythm because of the aesthetic dimensions formed by the musical timbre of those letters, including the words that feel the meaning, and move the imagination towards a series of meanings falling apart connected to the word, and since these letters have miraculous connotations, I tried in this research to stand at what was mentioned in the Holy Qur'an in order to reveal About its miraculous facets.

Research problem: What is the miraculous significance of vibrating letters? It is divided into a set of

questions, including: What is the concept of these letters? And how much do scientists care about it? What is its miraculous significance? Does it have a role in achieving the purposes of the Holy Qur'an? What is its role in highlighting psychological emotions?

Research Objectives: This research aims to study the vibrating letters, and the statement of their miraculous significance in the light of interpretation and the sciences of the Qur'an, and to reveal the concept of those letters, and to indicate the attention of scholars to them, and their semantic value, and their impact on the statement of the miracle of the Holy Qur'an and the achievement of its purposes, and its role in highlighting psychological emotions and suggesting the intended meaning.

Research Methodology: In my research, I used the descriptive, inductive and analytical approach, integrated, to find out the formulas of vibrating letters in the Holy Qur'an, their rhetorical methods, and the masterpieces of their miraculous connotations.

Research Components: This research came in an introduction, two chapters, and a conclusion, along with

a bibliography of sources and references, and an index of topics. Introduction: It included, the subject of the research, its components, its problem, its objectives, its importance, the reasons for its selection, its methodology, and then the first chapter: defining terms and concepts. Chapter Two: The miraculous face of vibrational letters. Then the conclusion, which contains the most important results and the most prominent recommendations, then the sources and references, and the index of topics.

The results of the research, the most important of which are: The research reached results, including: that the concept of vibrating letters has its origins among scholars of language, rhetoric, interpretation and the sciences of the Qur'an. It has an effective effect on clarifying and manifesting meaning, as it is a manifestation of the miracle of the Qur'an. He employed them in a way intended to portray situations with the connotations of linguistic sounds. No linguistic text other than the Qur'an can play this role.

The most prominent recommendations: The need to research the various aspects of the Qur'anic miracles,

including the linguistic miracles. Conducting studies on the effect of vibrating letters on interpretation. Conducting studies on the morphological miracles of the words of the Holy Qur'an because it is one of the most important areas of Qur'anic miracles. And emphasizing the importance of linguistic studies of the words of the Qur'an as one of the biggest aids to its interpretation.

Keywords: vibrating letters, miraculous connotation, Quranic sciences.

مقدمـــة

الحمد لله رب العالمين ، والحمد من نعمائه، أنْزلَ القرآن على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بلسان عربي مبين [١]،وجعله معجزا للعالمين، وحجة باقية إلى يوم الدين.﴿ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [٢]

والصلاة والسلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي أرسله ربه رحمة للعالمين بشيراً ونذيراً، ورضي الله عن صحابته الأكرمين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعـــــد

فلما كان القرآن الكريم هو المعجزة الكبرى لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، التي لم يَتحدَّ العربَ بغيرها، برغم ما ظهر على يديه صلى الله عليه وسلم من معجزات لا تُحصى، كان الحديث عن إعجاز القرآن من أهم الأبحاث المتعلقة بالقرآن وعلومه، وهو لُبها وجوهرها، وأساسها وعمدتها.

وقد أنزل الله القرآن الكريم ونَظَمه من الحروفِ التي في حِكمتها عبرة للمعتبرين، ودلالة للمتدبرين، فلكل حرف من حروف القرآن الكريم رسالة يؤديها، ولما رأَيْتُ هذه الحكمة البديعة في هذه الحروف التي نُظمت منها ألفاظ كِتاب الله تعالى، دعاني ذلك إلى النظر بعين التأمل

---

(١) قال تعالى:﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾[سورة الشعراء الآيات: ١٩٢ – ١٩٥].

(٢) سورة الإسراء الآية: ٨٨.

الكريم في تلك الحروف ،فوجدت مجموعة من الحروف الاهتزازية الرباعية المضاعفة، التي أولها وثالثها من جنس، وثانيها ورابعها من جنس آخر[١]،وقد تنوعت هذه الحروف، فمنها ما جاء على صيغة الفعل الرباعي المضعَّف وهو أكثرها، ومنها ما جاء على صيغة الاسم الرباعي المضَعف.

وتُعد صيغة الحرف الرباعي المضعَّف أو المكرر أحد الأبنية المتداولة التي استحسنها العرب[٢]،ويُقصد بها ما كان فاؤه ولامه الأولى من جنس واحد، وعينُه ولامُه الثانية كذلك ك(زَحزَح و زَلزَل) ويجوز فيه من تأليف الحروف جميع ما جاء من الصحيح والمعتل.

وقد استعمل القرآن الكريم هذه الحروف الاهتزازية ،وفيها أبعاد جمالية شكَّلها الجَرْس[٣]الموسيقي لتلك الحروف ،والتي شكَّلت الألفاظ التي تُشعر بالمعنى، وتُحرك الخيال نحو سلسلة من المعاني تتداعى متصلة بالكلمة ،من خلال تكرار المقطع فيها، وما تحمله من ظلال . ولما كان لهذه الحروف دلالات إعجازية ،وكان للتضعيف أثرٌ في إذكاء تلك الدلالة فقد حاولت في هذا البحث الوقوف عند ما ورد منها في القرآن الكريم بُغية الكشف عن أوجهها الإعجازية. وقد تتبعتها في القرآن الكريم فوجدتها ست عشرة مفردة وهي:(حصحص – دَمدم . ذَبذَب . رَفرَف . زَلزَل . زَحزَح . سَلسَل – صَرصَر. صَفصفاً . صَي صى . صَفصف . صَلصل . عَسعس – كَبكَب –لُؤلؤ – هُدهُد . وَسوس) وقد رتبتها أبجديا وصنفتها

(١) د. عبد الرحمن مطلك الجبوري . معجم الرباعي المكرر في العربية . ص ١،مجلة الأستاذ . العدد (٢٠٥)،المجلد الأول ٢٠١٣م . ١٤٣٤هـ.

(٢) راجع جواهر الألفاظ، لأبي الفرج قدامة بن جعفر البغدادي، تحقيق الشيخ: محمد محى الدين عبد الحميد. ص ١٩٢ وما بعدها.

(٣) (الجَرْس) الصَّوْت نَفسه أَو الْخَفي مِنْهُ ، وجرس الْحَرْف نغَمته تقول سَمِعتُ جرس الطير سَمِعْت صَوت مناقيرها على شَيْء تَأْكُله وجمعه جُروس. المعجم الوسيط ج١ص١١٧.

حسب أهدافها في هذه الدراسة التي أقوم بها تحت عنوان:(الحروف الاهتزازية ودلالتها الإعجازية دراسة في علوم القرآن).

ثانيا: محتويات البحث.

اقتضى العمل في هذا البحث أن يكون مؤلَفاً من مقدمة وفصلين وخاتمة.

المقدمة وتضمنت:

أولاً: موضوع البحث.

ثانياً: محتويات البحث.

ثالثاً: مشكلة البحث.

رابعاً: أهداف البحث.

خامساً: أهمية البحث وأسباب اختياره.

سادساً: منهجي في البحث.

سابعاً: الخاتمة .

الفصل الأول: تحديد المفاهيم.

الفصل الثاني: الوجه الإعجازي للحروف الاهتزازية، وفيه.

أولا: إثبات العصمة ليوسف عليه السلام [حَص حَص].

ثانياً: صفات المنافقين [ذَب ذَب].

ثالثاً: نعيم الجنة [زَح زح ـ رَف رَف ـ لُؤ لؤ].

رابعاً: تصوير انفعال الخوف الشديد [زَل زَل].

خامساً: عذاب المشركين في النار [سل سَل ـ كب كَب].

سادساً: تقرير البعث [زَل زَل ـ صَفاً صَفاً ـ صَفْ صَفْ].

سابعاً: عذاب المشركين في الدنيا[دَم دَم ـ دك دك ـ صَر صَر ـ صَى صى].

ثامناً: أطوار خلق آدم عليه الصلاة والسلام [صَل صَل].

تاسعاً: نعمة آيتي الليل والنهار [عس عس].

عاشراً: معجزة هدهد سليمان عليه السلام [هُد هُد].

الحادي عشر: وسوسة الشيطان وحديث النفس [وَس وَس]

ثم الخاتمة وفيها أهم النتائج وأبرز التوصيات.

المصادر والمراجع

فهرس الموضوعات

ثانياً: مشكلة البحث.

تكمن الإشكالية الأساسية للبحث في الإجابة عما يلى :

١- ما الدلالة الإعجازية للحروف الاهتزازية؟

٢- ما مفهوم الحروف الاهتزازية؟

٣- ما مدى عناية العلماء بهذه الحروف الاهتزازية؟

٤- هل للحروف الاهتزازية دور في التفسير وتحقيق مقاصد القرآن الكريم؟

٥- ما دور الحروف الاهتزازية في إبراز الانفعالات النفسية ؟

ومن خلال هذه الدّراسة يحاول البحث الإجابة عن هذه الأسئلة المطروحة موضحاً ما تؤديه الحروف الاهتزازية من معاني وإيحاءات في السّياق القرآني، لما في التَّعبير القرآني من ميزة جماليّة فنيّة خاصّة. وهو ما يُمكّن من تحقيق أهداف هذه الدراسة.

ثالثاً: أهداف البحث.

يهدف هذا البحث إلى دراسة الحروف الاهتزازية ،وبيان دلالتها الإعجازية في ضوء التفسير وعلوم القرآن ومن هذه الأهداف ما يلى:

١- الكشف عن مفهوم الحروف الاهتزازية.

٢- بيان عناية العلماء بهذه الحروف الاهتزازية.

٣- بيان القيمة الدلالية للحروف الاهتزازية وأثرها في التفسير.

٤- بيان أثر الحروف الاهتزازية في بيان إعجاز القرآن الكريم وتحقيق مقاصده.

٥- توضيح دور الحروف الاهتزازية في إبراز الانفعالات النفسية والإيحاء بالمعنى المراد.

رابعًا: أهمية البحث وأسباب اختياره.

من أبرز الأسباب التي دعتني لدراسة هذا الموضوع ما يلى:

أولاً: أنّ البحث في اختلاف مباني الكلمات في القرآن الكريم من أهم الأبحاث وأقواها صلة بعلوم القرآن وإعجازه ،فقد اعتبر علماء علوم القرآن التصريف[١] من العلوم التي لا غنى للمفسّر عنها، كونه أحد القواعد الأساسية للتفسير اللغوي.[٢]

ثانيًا: أنّ أول ما يَشتغل به المفسر من علوم القرآن هو العلوم اللفظية، ومن العلوم اللفظية تحقيق الألفاظ المفردة، فتحصيل معاني

---

(١)التصريف :هو علم بأصول يُعرف بها أحوال أبنية الكلم الّتي ليست بإعراب. وأبنية الاسم الأصول ثلاثيّة ورباعيّة وخماسيّة. وأبنية الفعل ثلاثيّة ورباعيّة، وينقسم قسمين: أحدهما: جَعل الكلمة على صيغ مختلفة بضروب من المعاني وينحصر في التصغير والتكبير والمصدر واسمي الزمان والمكان واسم الفاعل واسم المفعول والمقصور والممدود. والثاني: تغيير الكلمة لمعنى طارئ عليها وينحصر في الزيادة والحذف والإبدال والقلب والنقل والإدغام. الشافية في علمي التصريف والخط .ص: ٥٩.وانظر:البرهان في علوم القرآن. ج١ص ٢٩٧.

(٢)أكد على ذلك الإمام الزركشي إذ يقول في النوع التاسع عشر:" وفائدة التصريف حصول المعاني المختلفة المتشعبة عن معنى واحد فالعلم به أهم من معرفة النحو في تَعرُّف اللغة لأن التصريف نظر في ذات الكلمة ،والنحو نظر في عوارضها وهو من العلوم التي يحتاج إليها المفسر.. قال ابن فارس: مَن فاتَه عِلمُه فاته المُعظَم لأنا نقول: (وجَد) كلمة مبهمة فإذا صرَّفناها اتضحت فقلنا في المال (وُجْدًا) وفي الضالة (وِجْدَانًا) وفي الغضب (مَوْجِدَةً) وفي الحزن (وَجْدًا)". البرهان في علوم القرآن .ج١ص ٢٩٧.

مفردات ألفاظ القرآن في كونه من أوائل المُعاون لمن يريد أن يدرك معانيه.(١)

ثالثًا: أن العلماء اعتبروا معرفة اللغة العربية مفرداتها وأساليبها وتصريفها وإعجازها اللغوي ،شروطا ينبغي توفرها لمن يفسر القرآن الكريم.

رابعًا: أن الكشف عن صيغ الحروف الاهتزازية في القرآن الكريم ،واستنباط المعاني الدقيقة منها فيه كشف عن الدلالات الإعجازية للقرآن، فإن هذا الكتاب العزيز لا يخلَق على كثرة الرد، ولا تفنى عجائبه، ولا تنتهي لطائفه وأسراره.

خامساً: بيان أن كثيراً من علماء اللغة والتجويد والقراءات والبلاغة والتفسير وعلوم القرآن ،قديماً وحديثا قد لاحظوا تأثير الحروف الاهتزازية القرآنية في القلوب ،وأثرها في النفوس فاعتبروا ذلك التأثير وجها من وجوه إعجاز القرآن.(٢)

---

(١) بين الراغب أهمية معرفة المفسر وغيره بمفردات ألفاظ القرآن بقوله:" تحصيل معاني مفردات ألفاظ القرآن كتحصيل اللّبِن في كونه من أول المعاوِن في بناء ما يُريد أن يبنيه، وليس ذلك نافعا في علم القرآن فقط ، بل هو نافع في كلّ علم من علوم الشرع فألفاظ القرآن هي لُبّ كلام العرب وزُبدته، وواسطته وكرائمُه، وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامهم وحِكمهم، وإليها مفزع حذّاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم، وما عداها وعدا الألفاظ المتفرّعات عنها والمشتقات منها هو بالإضافة إليها كالقشور والنوى بالإضافة إلى أطايب الثمرة، وكالحُثالة والتبن بالإضافة إلى لبوب الحنطة" المفردات في غريب القرآن ص: ٥٤.

(٢)عبّر العلماء عن هذا الإعجاز التأثيري للقرآن الكريم بعبارات منها: روعة القرآن، هيبة القرآن، تأثير القرآن وسحره، موسيقى القرآن، ومنهم من أطلق عليه اسم الإعجاز التأثيري، ومنهم من أطلق عليه اسم الإعجاز النفسي. وأياً ما كان الاسم فإن المراد به التأثير العظيم الذي يُحدثه القرآن الكريم في نفوس قارئيه وسامعيه.

سادسًا: أن تحليل النص القرآني والنظر في مفرداته ودلالاتها ،يُعد ضرورة مُلِحَّة وأداة مُثلى لإثبات وجوه الإعجاز البياني فيه، لاسيما في الوقت الذى تتنامي فيه دعوات التشكيك في حقيقة إعجاز القرآن.

سابعًا: أن بعض الحروف الاهتزازية تُعد من فرائد القرآن المختصة بالفصاحة[١] وهى الإتيان بلفظة تتنزل منزلة الفريدة من العقد- وهي الجوهرة التي لا نظير لها- وتدل على عظم فصاحة هذا الكلام وقوة عارضته وجزالة منطقه وأصالة عربيته بحيث لو أُسقطت من الكلام عزَّت على الفصحاء غرابتها.[٢]

ثامنًا . أن بعض الحروف الاهتزازية تُعد من أمثال القرآن كقوله تعالى: ﴿ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ ﴾[٣]. ومعرفة الأمثال من أهم أنواع علوم القرآن[٤]، حتى "عدها الإمام الشافعي . رحمه الله . مما يجب على المجتهد معرفته من علوم القرآن"[٥]،وذلك لإعجازها البلاغي والقرآني "وتصويرها المعنى في صورة المحسوس بحيث يكون نسبته للفعل كنسبة المحسوس إلى الحس".[٦]

---

(١)الفصاحةَ وصفٌ يجب للكلام من أجل مزيةٍ تكونُ في معناه، ولا تكونُ وصْفاً له من حيثُ اللفظُ مجرداً عن المعنى. دلائل الإعجاز .تحقيق شاكر .ج١ص ٤٤٢.

(٢) نبَّه على ذلك الإمام السيوطي، ومثّل له بلفظ: (حَصحَص) في قوله تعالى: ﴿الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ ﴾ [سورة يوسف: ٥١].الإتقان في علوم القرآن .ج٣ص ٣١٩.

(٣) سورة يوسف من الآية: ٥١.

(٤)هناك ألفاظ من القرآن جارية مجرى المثل وهذا هو النوع البديعي المسمى بإرسال المثل وقد أورد الإمام السيوطي:" من ذلك قوله تعالى: ﴿الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ }[يوسف: ٥١].الإتقان في علوم القرآن .ج٤ص ٥٠.

(٥)البرهان في علوم القرآن .ج١ص ٤٨٦.

(٦)المصدر السابق .ج١ص ٤٨٧.

تاسعاً: الرغبة في إثراء المكتبة الإسلامية بدراسة تفسيرية تطبيقية تتناول الحروف الاهتزازية من وجهة نظر علوم القرآن وتفسيره. ولفت أنظار الباحثين للعمل في مجال الإعجاز البلاغي القرآني؛ من خلال الكشف عن بعض أسرار الحروف الاهتزازية ووجوه إعجاز القرآن فيها.

عاشراً: أن هذا النوع من الدراسات القرآنية لم ينل حظه من الكتابة فيه كالأنواع الأخرى.

خامساً: **منهج البحث** .

اتبعت في هذا البحث المنهج الوصفي والاستقرائي والتحليلي، للوقوف على صيغ الحروف الاهتزازية ،وأساليبها البلاغية، وروائع دلالاتها الإعجازية المكتنزة خلف تلك الحروف. وقد قمت بحصر صيغ الحروف الاهتزازية في القرآن الكريم، ورتبتها حسب الأهداف ،وسأتناول بعون الله تعالى دراسة تلك الحروف صرفيا ،ولغويا، وتفسيريا، وصوتيا ،وربطها بالإعجاز القرآني.

الفصل الأول

تحديد المصطلحات والمفاهيم

الفصل الأول

تحديد المصطلحات والمفاهيم

لما كانت اللغة حمَّالة أوجُه، والألفاظ ذات دلالات، وكان عنوان الدراسة من العناوين المركبة شأنه شأن سائر المركبات اللفظية ،لا يمكن الوقوف على معناه وتحديد المراد منه إلا بالوقوف على معانى مفرداته ،كان لابد من تحديد المفهوم المراد استعماله، بحيث يكون القارئ للدراسة على علم بالخطوات الأولى، كما يكون قد وعى البدايات التي ينهض فيها البحث، ومن ثَم فإن تحديد المفاهيم ضرورة علمية منهجية، وسوف أتناول مفردات العنوان على هذا الجانب وفاءً بالمنهج.

أولاً: الحروف الاهتزازية في اللغة والاصطلاح.

أ: الحرف لغة واصطلاحا.

١ ـ في اللغة.

(ح. ر. ف) الحاء الراء والفاء ثلاثة أصول: حَد الشيء، والعُدول، وتَقدير الشيء.

فأما الحد فحرف كل شيء حده، كالسيف وغيره. ومنه الحرف، وهو الوجه. تقول: هو من أمره على حرف واحد، أي طريقة واحدة.[١] ويقال للناقة حرف. قال قوم: هي الضامر، شُبِّهت بحرف السيف. وقال آخرون: بل هي الضخمة، شُبِّهت بحرف الجبل، وهو جانِبه.

---

(١) يدل عليه قوله تعالى﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ ﴾ [سورة الحج الآية: ١١] . أي على وجه واحد. وذلك أن العبد يجب عليه طاعة ربه تعالى عند السراء والضراء، فإذا أطاعه عند السراء وعصاه عند الضراء فقد عبده على حرف. ألا تراه قال تعالى:﴿ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ ﴾ [سورة الحج الآية: ١١] .

والأصل الثاني: الانحراف عن الشيء. يقال انحرف عنه ينحرف انحرافا. وحَرفته أنا عنه، أي عدلت به عنه. ولذلك يقال مُحارَف، وذلك إذا حورف كسبه.

والأصل الثالث: المحراف، حديدة يقدر بها الجراحات عند العلاج".[١]

٢ ـ في الاصطلاح.

الحرف مصطلح اشتهر عند كل من (اللغويين والفلاسفة[٢] والصوفية[٣]) ،وهو عند جميعهم في نهاية الأمر يؤدى إلى معنى واحد ،ولهذا يمكن الاقتصار على ما ذكره اللغويون والنحاة بأن الحرف :" كلمة لا تدل على معنى في نفسها، وإنما تدل على معنى في غيرها فقط – بعد وضعها في جملة– دلالة خالية من الزمن "[٤]،أو هو:" ما جاء بمعنى ليس باسم ولا فعل"[٥]،وقيل هو:" كلمةٌ لا تقبل إسنادا وَضْعيا بنفسها ولا بنظير"[٦]، ويقال هو: "كلمة دلّت على معنى غير مُسْتَقل بالمفهومية لاحتياجه فِي المفهومية إِلَى انضمام أَمر آخر إِلَيْهَا ".[٧]

---

(١) معجم مقاييس اللغة .مادة (ح. ر. ف).ج٢ص٤٢.

(٢) اعتنى الفلاسفة بالحروف ،فكتب فيها الشيخ الرئيس ابن سينا(ت:٤٢٨هـ) (رسالة أسباب حدوث الحروف) وهى من أفضل ما ألف في بابها، إذ رسمت بقلم طبيب عالم، عاين دقائق جهاز النطق، وشرَحها بمبضعه، فتأتى له أن يكشف عن أسباب حدوث الحروف، ويصف مخارجها على نحو عجيب، ما نظن أحداً من المتقدمين بلغ شأوه في هذا. أنظر: مقدمة تحقيق رسالة أسباب حدوث الحروف،ص١٩.

(٣)الْحُرُوف عِنْد الصُّوفِيَّة هي: الْحَقَائِق البسيطة من الْأَعْيَان. جامع العلوم في اصطلاحات الفنون .ج٢ص ٢٣، والتعريفات للجرجاني. ص: ٨٥.

(٤)النحو الوافي .للدكتور: عباس حسن.ج١ص ٦٨..والتعريفات للجرجاني. ص: ٨٥.

(٥)الكليات لأبى البقاء الكفوي .ص: ٣٩٤.

(٦) شرح التسهيل لابن مالك .ج١ص ١٠.

(٧) جامع العلوم في اصطلاحات الفنون .ج٢ص ٢٠.

وعرِّف الحرف باعتباره صوتاً بأنه:" كَيْفِيَّة تعرض للصوت، بهَا يمتاز الصَّوْت عَن صَوت آخر مثله فِي الحدة والثقل تميزا فِي المسموع".[١]

والحروف ثلاثة أنواع: فكرية، ولفظية، وخطية.

فالحروف الفكرية هي: صور رُوحانية، في أفكار النفوس، مصوَّرة في جوهرها قبل إخراجها، معانيها الألفاظ.

والحروف اللفظية هي :أصوات محمولة في الهواء، مُدرَكة بطريق الأذنين، بالقوة السامعة.

والحروف الخطِّية هي: نقوش خُطَّت بالأقلام في وجوه الألواح، وبطون الطوامير[٢]، مُدرَكة بالقوة الناظرة، بطريق العينين.

والحروف الخطِّية وضعت ليُدَل بها على الحروف اللفظية، والحروف اللفظية وضعت ليُدل بها على الحروف الفكرية التي هي الأصل.

والحروف اللفظية إنما هي :أصوات تَحدث في الحلقوم والحَنكين، وفى اللسان والشفتين، عند خروج النَفَس من الرئة،...وتزيد وتنقص في سائر اللغات".[٣]

وتنقسم الحروف اللفظية إلى قسمين: حروف المباني وحروف المعاني.

---

(١) الكليات لأبي البقاء الكفوي. ص: ٣٩٤.

(٢) الطَّامُورُ والطُّومَارُ: الصَّحِيفَةُ، جمعه: طَوَامِيرُ. تاج العروس(فصل الطاءِ الْمُهْمَلَة مَعَ الرّاء).ج١٢ص ٤٣٤.

(٣) الحروف لفخر الدين الرازي .ص .١٤٧.ضمن ثلاثة كتب في الحروف للخليل بن أحمد، وابن السكيت ،والرازي. تحقيق. دكتور: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط:أولى ،١٤٠٢هـ.١٩٨٢م.

أما حروف المباني: فهي الحروف التي تتألَّف منها اللغة العربية، وهي ثمانية وعشرون حرفاً وتُدعى حروف الهجاء.

أما حروف المعاني: فهي أدوات تربِط الكلمات مع بعضها، داخل الجملة، وهي ثلاثة أقسام: حروف تَختصُّ بالأفعال، وحروف مختصة بالأسماء، وحروف مشتركة بين الأسماء والأفعال.(١)

ولما كانت الكلمات الثنائية، والثلاثية، والرباعية وغيرها ،تنشأ من انضمام بعض حروف الهجاء إلى بعض ،فسيكون البحث في هذه الدراسة عن الحروف الاهتزازية من حروف المباني.

ثانياً: الاهتزاز في اللغة والاصطلاح.

١ ـ في اللغة.

الهاء والزاي:" أصل يدل على اضطراب في شيء وحركة. وهززتُ القناة فاهتزت. واهتز النبات، وهزَّته الريح. وهَزَّ الحادِي الإبل بحِدَائه واهتزت هي في سيرها. وهزيز الريح: حركتها وصوتها. ومن الباب الهَزاهز: الفتن يهتز فيها الناس. وسيف هَزْهَازٌ وَهُزْهُزٌ: صافٍ حَسن الاهتزاز. وماء هُزَهِزٌ: اهتز في جريانه. والكوكب في انقضاضه يهتز. وَالْهُزَهِزُ: الرجل الخفيف، والقياس في كل ذلك واحد".(٢) ،واستعمل على معنى الارتياح ،"وكلّ من خَفّ لأمر وارتاح له فقد اهتزّ له و أخذَته لذلك الأمر هِزّة أيّ: أريحيّة وحركة".(٣)

---

(١) النحو الوافي . ج١ص ١٣

(٢) مقاييس اللغة .مادة (هـ. ز. ز).ج ٦ص ٩.

(٣) تاج العروس ج١٥ص ٣٨٦. ،والصحاح ج١ص ٣٦٩.

فالمعاني التي تدور عليها مادة (هـ. ز. ز) هي :تحريك الشيء ،وتَرَدُّدُ الصَوْت، والنَّشاط والارْتِياح.

وقد أشار القرآن الكريم إلى الحركة الاهتزازية في مواضع منها: تحريك الشيء في قوله تعالى: ﴿ وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ﴾[(١)]،و اهتزاز النبات في قوله تعالى: ﴿ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ [(٢)] والجماد في قوله تعالى:﴿ وَأَلۡقِ عَصَاكَۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهۡتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنّٞ وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا وَلَمۡ يُعَقِّبۡۚ ﴾ [(٣)]

٢: في الاصطلاح.

١ـ في اصطلاح اللغويين.

اتخذت اللغة القرآنية من الصوت المتكرر وسيلة بلاغية لتصوير الموقف وتجسيمه، والإيحاء بما يدل عليه معتمدة في ذلك على ما تتميز به بعض الحروف من خصائص صوتية، وما تشيعه بجَرْسها الصوتي من نغم يسهم في إبراز المعنى المراد .لذا جاءت الحروف الاهتزازية لتُشعر بالمعنى، وتُحرك الخيال نحو سلسلة من المعاني تتداعى متصلة بالكلمة ، من خلال تكرار المقطع فيها، وهو مرتبط بجَرس الكلمة وإيقاعها وما تحمله من ظلال .

---

(١) سورة مريم الآية: ٢٥.

(٢) سورة الحج الآية: ٥. ،ومثله قوله سبحانه:﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلۡأَرۡضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡۚ إِنَّ ٱلَّذِيٓ أَحۡيَاهَا لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴾ [سورة فصلت الآية: ٣٩].

(٣) سورة النمل الآية: ١٠. ،ومثله قوله جل شأنه:﴿ وَأَنۡ أَلۡقِ عَصَاكَۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهۡتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنّٞ وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا وَلَمۡ يُعَقِّبۡۚ ﴾ [سورة القصص الآية: ٣١].

وقد عرَّفها ابن جني بقوله:"هي ألفاظ تُشعر القارئ، أو السامع بشدتها، وقوتها، واهتزازيتها من خلال تكرار حرفين متتاليين، أو تكرار كلمة كاملة قوية اهتزازية، لبيان أحداث في غاية الأهمية ،فالدلالة اللفظية أقوى من الدلالة المعنوية".(١)

ويوضح هذا بقوله :"ذلك أنهم قد يضيفون إلى اختيار الحروف وتشبيه أصواتها بالأحداث المعبَّر عنها بها ترتيبها، وتقديم ما يضاهي أول الحدث، وتأخير ما يضاهي آخره، وتوسيط ما يضاهي أوسطه، سوقاً للحروف على سمت المعنى المقصود والغرض المطلوب".(٢)

وعرِّفت بأنها:" تلك الألفاظ التي تُشعرك بالمعني، وتحرك خيالك نحو سلسلة من المعاني، تتداعي متصلة بالكلمة من خلال تكرار مقطع فيها، وهو مرتبط بجرس الكلمة وإيقاعها وما تحمله من ظلال".(٣)

وعرِّفت أيضاً بأنها حروف "في جَرْسها رنين يزيد على رنين الثلاثي بقدر زيادة أصوات حروفها وطبيعة مخارجها"(٤)

أي أن قيمة هذا الرنين في اللفظة المؤلفة يتوقف على مدى تنافر أو ائتلاف أجراس حروفها ،وهذا يبدو جليا في انتقاء وتوظيف الآيات القرآنية للعديد من الحروف الاهتزازية .

---

(١)الخصائص .ج٢ص ١٦٣.

(٢)الخصائص .ج٢ص ١٦٤.

(٣) د . فراس عبدالعزيز عبدالقادر. علاقة الصوت بالمعنى في صيغة الفعل الرباعي . ص١٠.

(٤)جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب، ماهر مهدي. هلال ص١٦٥، دار الحرية للطباعة- بغداد.١٩٨٠م.

٢ـ في اصطلاح علماء الفيزياء.

الاهتزاز أو الارتجاف ظاهرة ميكانيكية تحدث فيها التذبذبات[١] حول نقطة توازن. وقد عَرَّف العلماء الحركة الاهتزازية بتعريفات منها أنها: "حَالَة الْجِسْم المتحرك حَرَكَة تذبذبية "[٢]،وقيل هي: اهتزاز جسم حول موضع سكونه في اتجاهين متضادين، وفي فترات زمنية متساوية. أو هي : حركة جسم حول موضع سكونه بحيث يُكرر نفس حركته في فترات زمنية متساوية. أوهي :الحركة التي يصنعها الجسم المهتز ذهاباً و إياباً على جانبي موضع سكونه أو اتزانه الأصلي".[٣]

وترتبط دراسات الصوت بالاهتزاز ارتباطاً وثيقاً. حيث ينتج الصوت أو موجات الضغط عندما تهتز الحبال الصوتية ويمكن أن تؤدي موجات الضغط هذه أيضًا إلى اهتزاز طبلة الأذن.

ثالثا: مفهوم الحروف الاهتزازية عند العلماء القدامى والمحدثين .

لم يغب عن أذهان كثير من علماء اللغة والتجويد والقراءات والبلاغة والتفسير وعلماء علوم القرآن تلك الحروف الاهتزازية مما يعنى وجود إشارات إلى الجانب الذى يتولى هذا البحث الحديث عنه. وقد كانت هذه الإشارات متناثرة في بطون كتب اللغة والبلاغة والتفسير وعلوم القرآن هنا وهناك، فقد تكلم علماؤنا عن تكرير الحروف في الكلمة باعتبار أن لها مزية سمعية وأخرى فكرية ،الأولى ترجع إلى موسيقاها والأخرى إلى

---

(١)كل الجزيئات في العالم تهتز حول موضعها حتى جزيئات المواد الصلبة، ولكن الاهتزاز فيها يكون أقل ما يمكن بسبب وجود قوى التجاذب بين الجزيئات. وكل جُزيء ومبنى وجسم في العالم يهتز وفقًا لتردد معين يسمى التردد الطبيعي للجسم، وهو من أهم خواص الأجسام والمواد الموسوعة العربية العالمية .مادة(الذبذبة).ج ١٠ص ٦٣٢.

(٢)المعجم الوسيط .ج٢ص ٩٨٤.

(٣)الموسوعة العربية العالمية .مادة(الذبذبة).ج ١٠ص ٦٣٢.

معناها، وتعد الألفاظ الرباعية المكررة أولها وثانيها أصلا للحروف الاهتزازية ،وقد تحدث أهل العلم عنها وأطلقوا عليها تسميات مختلفة فمن هؤلاء:

(أ): **اللغويون**.

من أوائل من تحدث عن الحروف الاهتزازية العلاَّمة الخليل بن أحمد(ت:١٧٥هـ) وسماها المضاعَف، وذكر لها أمثلة فقال:" وأما الحكايةُ المُضاعفَة فإنها بمنزلة (الصَّلْصلة والزَّلْزِلَةِ) وما أشبهها يتوهمون في حُسن الحركة ما يتوهمون في جَرْس الصوت يضاعفون لتستمر الحكاية في وجه التصريف".(١)

ثم بيَّن أصل هذه الحروف فقال:" والمضاعَف في البيان في الحكايات وغيرها ما كان حرفا عَجُزه مثل حَرْفَي صدره وذلك بناءٌ يستحسنه العَرَبُ فيجوز فيه من تأليف الحروف جميع ما جاء من الصحيح والمعتلّ ومن الذُّلُقِ (٢)والطُّلْق(٣) والصُّم(٤)، ويُنسب إلى الثنائي لأنه يضاعفه، ألا تَرى الحكاية أنّ الحاكي يَحكي صَلصلة اللجام فيقول صَلْصَلَ اللّجَام، وإن شاء قال: صَلَّ، يُخَفِّفُ مرّة اكتفاء بها وإنْ شاء

(١) كتاب العين .ج١ص ٥٥.

(٢) الحروف الذُلْقَ والشفوية ستَّة وهي:(ر، ل، ن، ف، ب، م) وإنَّما سُمِّيَتْ هذه الحروف ذُلْقا لأن الذلاقة في المنطق إنّما هي بطَرَف أَسَلة اللِّسان والشفتين وهما مَدرجتا هذه الاحرف الستة، منها ثلاثة ذلقية: (ر. ل. ن) تخرج من ذَلْقَ اللسان من طَرَف غار الفم، وثلاثة شفوية: (ف. ب .م)، مخرجها ما بين الشَّفَتيْن خاصة. كتاب العين ج١ص ١٢.

(٣) طَليقُ اللسان وطَلْقُ اللسان: ذو طلاقة وذلاقة، ولسانه طَلْقٌ ذلق أي مستمر. العين .ج٥ص ١٠٢.

(٤)الحُروف الصُّمُ: التي ليستْ من الحَلْق. العين .ج٧ص ١٠٧.

أعادها مرتين أو أكثر من ذلك فيقول: صل، صَل، صَل، يتكلّف من ذلك ما بَدا له".[١]

وذكر أنها من الأساليب المستحسنة عند العرب لأنهم كانوا: "إذا صَرَّفوا الفعل، قالوا: قَرقَر فيُظهرون حروف المضاعف لظهور الرَاءين في قَرْقَر، ولو حَكى صوته وقال: قرَّ، ومَدَّ الراء لكان تصريفه: قَرَّ يَقِرُّ قَريراً، كما يقال: صَرَّ يصِرُّ صَريراً، وإذا خفف وأظهر الحرفين جميعاً، تحول الصوت من المد إلى الترجيع فضوعف لأن الترجيع يضاعَف كله في تصريف الفعل إذا رجَّع الصائِت، قالوا: صَرْصَرَ وصَلْصَلَ، على توهم المد في حال، والترجيع في حالٍ".[٢]

وممن اهتم بالحروف الاهتزازية الإمام سيبويه (ت: ١٨٠هـ) فقد سماها مضاعف بنات الأربعة، فقال:" ولا نعلم في الكلام على مثال فَعلال إلا المضاعف من بنات الأربعة الذي يكون الحرفان الآخران منه بمنزلة الأولين، وليس في حروفه زوائد، كما أنه ليس في مضاعف بنات الثلاثة نحو: رددت، زيادةٌ. ويكون في الاسم والصفة؛ فالاسم نحو: الزَلزال، والصفة نحو: الحَثحاث".[٣]

وقد اعتنى ابن جني(ت: ٣٩٢هـ) ببيان أصل تلك الحروف فقال:" إذا كان معك أصلان ومعهما حرفان مثلان، كأن يكون هناك تكرير على تساوي حال الحرفين. فإذا كانا كذلك كانت الكلمة كلها أصولاً، وذلك نحو: قَلقَل ،وصَعصَع، وقَرقَر. فالكلمة إذاً لذلك رباعية".[٤]

---

(١) كتاب العين .ج١ص ٥٥.

(٢) كتاب العين .ج ٥ص٢٣.

(٣)الكتاب لسيبويه .ج ٤ص ٢٩٤.

(٤)الخصائص لابن جنى. ج٢ص ٥٩.

كما وضح علاقة الحرف الاهتزازي بمعناه فقال :" لمَّا كانت الأفعال دليلة المعاني كرروا أقواها وجعلوه دليلاً على قوة المعنى المُحدَّث به، وهو تكرير الفعل، كما جعلوا تقطيعه في نحو: صَرصَر وحَقْ حَقْ، دليلاً على تقطيعه. فهذا أيضاً من مساوقة الصيغة للمعاني ".[١]

وفي سياق آخر يقول :" ومن وراء هذا ما اللُّطف فيه أظهر، والحكمة أعلى وأصنع. وذلك أنهم قد يضيفون إلى اختيار الحروف وتشبيه أصواتها بالأحداث المعبَّر عنها بها ترتيبها، وتقديم ما يضاهي أول الحدث، وتأخير ما يضاهي آخره، وتوسيط ما يضاهي أوسطه، سوقاً للحروف على سمت المعنى المقصود والغرض المطلوب".[٢]

ثم يزيد هذا المعنى بيانا حين يكشف عن العلاقة بين اللفظ ودلالته الصوتية، فيقول: " أما مقابلة الألفاظ بما يُشاكل أصواتها من الأحداث، فباب عظيم واسع، ونهج متلئب[٣] عند عارفيه مأموم، وذلك أنهم كثيراً ما يجعلون أصوات الحروف على سَمت الأحداث المعبَّر بها عنها فيعدلونها بها ويحتذونها عليها وذلك أكثر مما نقدره، وأضعاف ما نستشعره ،ومن ذلك قولهم: خَضم وقَضم، فالخَضْم لأكل الرَطِب كالبطيخ والقثاء وما كان نحوهما من المأكول الرَطب، والقَضم للصُلب اليابس نحو: قضَمت الدابة شعيرها ونحو ذلك. فاختاروا الخاء لرخاوتها للرَطب، والقاف لصلابتها لليابس حذواً لمسموع الأصوات على محسوس الأحداث".[٤]

---

(١) الخصائص لابن جنى .ج٢ص ١٥٧.

(٢) الخصائص .ج٢ص ١٦٤.

(٣) اتلأب الأمر اتلئبابا: استقام .الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. مادة(ت. ل .ب). ج١ص ٩١.

(٤) الخصائص. ج٢ص ١٥٩.

ولذا ذكر في كتابه الخصائص باباً في (إمساس الألفاظ أشباه المعاني) فقال:" اعلم أن هذا موضع شريف لطيف، وقد نبَّه عليه الخليل وسيبويه، وتلقته الجماعة بالقبول له والاعتراف بصحته. قال الخليل: كأنهم توهموا في صوت الجُندب[١] استطالة ومدًّا فقالوا: صَرَّ، وتوهموا في صوت البازي تقطيعاً فقالوا: صرصر. وقال سيبويه في المصادر التي جاءت على الفَعَلان: إنها تأتي للاضطراب والحركة، نحو: النَقزَان[٢] والغليان والغثيان، فقابلوا بتوالي حركات المثال توالي حركات الأفعال. ووجدت أنا من هذا الحديث أشياء كثيرة على سَمْت ما حَدّاه ، ومنهاج ما مثّلاه. وذلك أنك تجد المصادر الرباعية المضعفة تأتي للتكرير نحو: الزَعزَعة، والقَلقلة، والصَلصلة، والقعقعة والصعصعة[٣]، والجَرجرة والقَرقرة. فجعلوا المثال المكرر للمعنى المكرر –أعني: باب القلقلة– والمثال الذي توالت حركاته للأفعال التي توالت الحركات فيها".[٤]

(**ب**): **علماء التجويد** .

اعتنى علماء التجويد والقراءات بالحروف ومخارجها وصفاتها ، وقدموا وصفا دقيقاً لها ولمدلولاتها، وقد حدد بعضهم أعضاء آلة نطق

---

(١)الجندب نوع من الْجَرَاد يَصر ويقفز ويطير ،جمعه جنادب وَمن أَمْثَال الْعَرَب (صَر الجُندُب) اشْتَدَّ الْأَمر حَتَّى يُقلق صَاحبه المعجم الوسيط .مادة (ج. ن. د). ج١ص ١٤٠.

(٢)نقز الظبي وَغَيره فِي عدوه نقزا ونقزانا وثب صُعُدا وقفز وَنقز الشَّيْء عَنهُ دَفعه. المعجم الوسيط .مادة(ن .ق .ز).ج٢ص ٩٤٦.

(٣) صَعصَع الرجل صعصعة وصَعصَاعا خَافَ واضطرب وجلَب وَصَاح وَالْقَوْم أفزعهم وفرقهم. المعجم الوسيط .مادة (ص .ع. ص. ع).ج١ص٥١٥.

(٤)الخصائص .ج٢ص ١٥٤.

الحروف إجمالا[1]، يقول مكي بن أبى طالب(ت:٤٣٧هـ) عن الحروف: " ورتّب تبارك وتعالى اسمُه لها مخارج تَخرج منها عند النطق بها، من آخر الصدر الأعلى، وما يليه من الحلق، والفم، وأطراف الشفتين، وإلى الخياشيم".[٢]

ويقول ابن الجزري (ت: ٨٣٣ هـ):"أما مخارج الحروف: فقد اختلفوا في عددها فالصحيح المختار عندنا وعند من تقدمَنا من المحققين: كالخليل بن أحمد ومكي بن أبي طالب وأبي القاسم الهذلي وأبي الحسن شريح وغيرهم، سبعة عشر مخرجا، وهذا الذي يظهر من حيث الاختيار، وهو الذي أثبته أبو علي بن سينا في مؤلف أفرده في مخارج الحروف وصفاتها. ثم يضيف قائلاً :" وأما صفات الحروف فمنها المجهورة وضدها المهموسة، والهمس من صفات الضعف، كما أن الجهر من صفات القوة".[٣]

وإن كان علماء العربية كالخليل وسيبويه قد أوردوا في أثناء حديثهم عن مخارج الحروف معظم أسماء أعضاء آلة النطق. لكن علماء التجويد تميزوا في دراسة مخارج الحروف عن علماء العربية بنواح منها: وصف أعضاء النطق ،والاستعانة بعلم التشريح، وتخصيص فصل مستقل لوصف بعض أعضاء النطق، والاستعانة بالرسم التوضيحي.

---

(١) أعضاء آلة النطق التي وصفها المحدَثون هي: الرئة، والقصبة الهوائية، والحنجرة، والحلق، والخيشوم، والفم، واللسان، وسقف الفم، والأسنان والشفتان. وتتفاوت هذه الأعضاء في الدور الذي تقوم به في عملية التصويت، كما أن أكثرها له وظائف أخرى لا تقل أهمية بالنسبة للجسم عن عملية النطق.

(٢) الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة. لمكى بن أبى طالب .ص ٤٠.

(٣) النشر في القراءات العشر.لابن الجزرى.ج١ص ٢٠٢.

(ج): **علماء علوم القرآن**.

نبه علماء علوم القرآن إلى هذه الحروف الاهتزازية، ووجه دلالتها الإعجازية حتى عَد الإمام الزركشي(ت: ٧٩٤هـ) الزيادة في بنية الكلمة من وجوه إعجاز القرآن وأساليبه وفنونه البليغة فقال: "واعلم أن اللفظ إذا كان على وزن من الأوزان ثم نُقل إلى وزن آخر أعلى منه فلا بد أن يتضمن من المعنى أكثر مما تضمنه أولاً لأن الألفاظ أدلة على المعاني فإذا زيدت في الألفاظ وجب زيادة المعاني ضرورة[١]. ومثَّل له بقوله تعالى: ﴿ فَكُبْكِبُوا۟فِيهَا ﴾ ولم يَقل: [وكُبُّوا]".[٢]

أما الإمام السيوطي (ت: ٩١١هـ) فقد ذكر أمثلة لمناسبة الألفاظ للمعاني عند العرب ثم قال:" فانْظر إلى بديع مناسبةِ الألفاظ لمعانيها وكيف فاوتَت العربُ في هذه الألفاظ المُقْتَرَنة المتقاربة في المعاني فجعلت الحرفَ الأضْعف فيها والألين والأخفى والأسْهل والأهْمس لِمَا هو أدْنى وأقل وأخف عملا أو صوتا وجعلت الحرفَ الأقْوى والأشد والأظهر والأجهر لِمَا هو أقوى عملا وأعظم حِسّاً".[٣]

---

(١) ذكر الإمام الزركشي أمثلة لزيادة اللفظ لزيادة المعنى منها قوله تعالى: ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ﴾ [سورة القمر: ٤٢] ،فهو أبلغ من [قادر] لدلالته على أنه قادر متمكن القدرة لا يرد شيء عن اقتضاء قدرته ويسمى هذا قوة اللفظ لقوة المعنى. وكقوله تعالى: ﴿وَاصْطَبِرْ﴾ [سورة القمر: ٢٧] فإنه أبلغ من الأمر بالصبر من [اصبر] .وقوله: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [سورة البقرة: ٢٨٦] لأنه لما كانت السيئة ثقيلة وفيها تكلف زيد في لفظ فعلها. وقوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا ﴾ [سورة فاطر: ٣٧] ،فإنه أبلغ من[يتصارخون] . البرهان في علوم القرآن .ج٣ص ٣٤.

(٢) البرهان في علوم القرآن. ج٣ص ٣٦.

(٣)المُزهر في علوم اللغة وأنواعها .ج١ص ٤٤.

(د): **المفسرون**.

لما كان لهذه الحروف الاهتزازية في القرآن الكريم أثرها البالغ في التفسير، فقد حظيت بعناية المفسرين ،حيث نبهوا إلي أصولها وبينوا وجه دلالتها الإعجازية . يقول السمين الحلبى (ت: ٧٥٦هـ):" ومُذْبَذَب وشبهُه نحو: مُكَبْكَب ومُكَفْكَف مِمَّا ضُعِّف أولُه وثانيه وصَحَّ المعنى بإسقاط ثالثِه فيه مذاهبٌ، أحدُهما: وهو قولُ جمهورِ البصريين – أنَّ الكلَّ أصولٌ، لأنَّ أقلَّ البنية ثلاثةُ أصولٍ وليس أحدُ المكررين أَوْلى بالزيادةِ من الآخر. الثاني – ويُعْزَى للزجَّاج – أنَّ ما صَح إسقاطُه زائدة. الثالث: – وهو قول الكوفيين – أن الثالث بدل من تضعيف الثاني، ويزعمون أن أصل كفكف: كَفَّفَ بثلاث فاءات، وذبذب: ذَبَّب بثلاث باءات فاستُثْقِل توالي ثلاثةِ أمثالٍ فَأَبْدَلوا الثالثَ من جنس الأول، ... أمَّا إذا لم يَصِحَّ المعنى بحذفِ الثالث نحو: سِمْسم ويُؤْيؤ ووعْوَع فإنَّ الكلَّ يزعمون أصالةَ الجميع".(١)

كما يوضح الشيخ ابن عاشور(ت:١٣٩٣هـ) صلة الحرف الاهتزازي بمعناه فيقول:" والمذبذَب اسم مفعول من الذبذبة، يقال: ذبذبه فتذبذب، والذبذبة: شدة الاضطراب من خوف أو خجل، قيل: إن الذبذبة مشتقة من تكرير ذَبَّ إذَا طَرَدَ ، لأن المطرود يعجل ويضطرب، فهو من الأفعال التي أفادت كثرة المصدر بالتكرير، مثل زَلزَل ولملم بالمكان وصلصَل وكبكَب".(٢)

وسيأتي مزيد بيان لعناية المفسرين بتلك الحروف في ثنايا البحث.

(١)الدر المصون في علوم الكتاب المكنون .ج٤ص ١٢٨.
(٢) التحرير والتنوير.ج٥ص ٢٤١.

(هـ) :**البلاغيون**.

اهتم البلاغيون بالحروف الاهتزازية ،وبينوا منزلة اللفظ من معناه وكيفية إضافته إلى قائله، وكيفية دلالته على معناه وبيان قوة المعنى لقوة اللفظ.

يقول ابن الأثير (ت: ٦٣٧هـ):" اعلم أن اللفظ إذا كان على وزن من الأوزان ثم نُقل إلى وزن آخر أكثر منه فلا بدّ من أن يتضمن من المعنى أكثر مما تضمنه أوّلا؛ لأن الألفاظ أدلّة على المعاني، وأمثلة للإبانة عنها، فإذا زيد في الألفاظ أوجبت القسمة زيادة المعاني، وهذا لا نزاع فيه، لبيانه، وهذا النوع لا يُستعمل إلا في مقام المبالغة...،وهذا وما يجري مجراه إنما يُعمَد إليه لضرب من التوكيد، ولا يوجد ذلك إلا فيما فيه معنى الفعلية كاسم الفاعل والمفعول، وكالفعل نفسه، نحو قوله تعالى: ﴿ فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴾ [١]،فإن معنى: ﴿ فَكُبْكِبُوا۟ ﴾ من الكَب، وهو القلب، إلا أنه مُكرر المعنى، وإنما استُعمل في الآية دلالة على شدة العقاب؛ لأنه موضع يقتضي ذلك".[٢]

ويقول صاحب الطراز لأسرار البلاغة[٣] عند حديثه عن بيان قوة اللفظ لقوة المعنى:" اعلَم أن هذا الباب له حظ وافر من علوم المعاني، وله فيها قدم راسخة، وقد ذكره ابن جنى في كتاب «الخصائص» ، وأورده

(١) سورة الشعراء الآية: ٩٤.

(٢)المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر تحقيق الحوفي. ج٢ص ١٩٧.

(٣) هو: يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطالبي: من أكابر أئمة اليمن. يُروي أن كراريس تصانيفه زادت على عدد أيام عمره. ولد في صنعاء. (٦٦٩هـ) ،من مؤلفاته: الحاوي في أصول الفقه ،وشرح الكافية .توفى(٧٤٥ هـ) .الأعلام للزركلي .ج٨ ص ١٤٣.

ابن الأثير في كتابه «المثل السائر» وما ذاك إلا لعلمهما بعلو مكانه في أبواب المعاني فنقول: قوة اللفظ لأجل قوة المعنى، إنما تكون بنقل اللفظ من صيغة إلى صيغة أكثر منها حروفا، فلأجل ذلك يقوى المعنى لأجل زيادة اللفظ، وإلا كانت زيادة الحروف لغواً لا فائدة وراءها، وذلك يكون في الأسماء، والأفعال، والحروف ".[١]

وقد بين الباقلاني (ت: ٤٠٣هـ) منزلة الحروف الاهتزازية فقال: "إذا كان الكلام إنما يفيد الإبانة عن الأغراض القائمة في النفوس، التي لا يمكن التوصل إليها بأنفسها وهي محتاجة إلى ما يُعبِّر عنها، فما كان أقرب في تصويرها، وأظهر في كشفها للفهم الغائب عنها، وكان مع ذلك أحكم في الإبانة عن المراد، وأشد تحقيقا في الإيضاح عن المطلب ،وأعجب في وضعه، وأرشق في تصرفه، وأبرع في نظمه – كان أولى وأحق بأن يكون شريفاً".[٢]

ويقول الجرجاني (ت: ٤٧١هـ):" اعلم أن لكل نوع من المعنى نوعاً من اللفظ هو به أخص وأولى، وضروباً من العبارة هو بتأديته أقوم، وهو فيه أجلى، ومأخذاً إذا أخذ منه كان إلى الفهم أقرب، وبالقبول أخلق، وكان السمع له أوعى، والنفس إليه أميل. وإذا كان الشيء متعلقاً بغيره، ومقيساً على ما سواه، كان من خير ما يستعان به على تقريبه من الأفهام، وتقريره في النفوس، أن يوضع له مثال يكشف عن جهة ويؤنس به، ويكون زماماً عليه يمسكه على المتفهم له والطالب علمه".[٣]

---

(١)الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز.ج٢ص ٨٦.

(٢)إعجاز القرآن للباقلاني . ص: ١١٩ .

(٣) دلائل الإعجاز في علم المعاني للشيخ: أبي بكر عبد القاهر الجرجاني تحقيق: محمود محمد شاكر ج١ص ٥٧٥.طبع المدني بالقاهرة .الطبعة: الثالثة ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

ويبين الشيخ مصطفى صادق الرافعي(ت: ١٣٥٦هـ)[١] علاقة الصوت بالمعنى فيقول:" ليس يخفى أن مادة الصوت هي مظهر الانفعال النفسي، وأن هذا الانفعال بطبيعته إنما هو سبب في تنويع الصوت، بما يخرجه فيه مداً أو غُنة أو ليناً أو شدة، وبما يُهيئ له من الحركات المختلفة في اضطرابه وتتابعه على مقادير تناسب ما في النفس من أصولها؛ ثم هو يجعل الصوت إلى الإيجاز والاجتماع؛ أو الإطناب والبسط؛ بمقدار ما يُكسبه من الحِدَّة والارتفاع والاهتزاز وبُعد المدى ونحوها، مما هو بلاغة الصوت في لغة الموسيقى".[٢]

ويوضح أن الأصوات ثلاثة:

أولها: صوت النَفْس، وهو الصوت الموسيقي الذي يكون من تأليف النَغَم بالحروف ومخارجها وحركاتها ومواقع ذلك من تركيب الكلام ونظمه على طريقة متساوقة وعلى نضد متساو، بحيث تكون الكلمة كأنها خطوة للمعنى في سبيله إلى النَفْس، إن وقف عندها هذا المعنى قطع به.

الثاني: صوت العقل، وهو الصوت المعنوي الذي يكون من لطائف التركيب في جملة الكلام، ومن الوجوه البيانية التي يداورُ بها المعنى، لا يخطئ طريقَ النفس من أي الجهات انتحى إليها.

الثالث: صوت الحِس، وهو أبلغهن شأناً، لا يكون إلا من دقة التصور المعنوي، والإبداع في تلوين الخطاب، ومجاذبة النفس مرة وموادعتها مرة، واستيلائه على محضها بما يورد عليها من وجوه البيان،

---

(١) الشيخ مصطفى صادق الرافعي (ت: ١٣٥٦هـ) ممن أشار إلى التصوير الصوتي في كتابه إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ،وقد أسهب في الحديث عن هذا الجانب . ص ١٤٩ وما بعدها.

(٢)إعجاز القرآن والبلاغة النبوية للرافعي . ص ١٤٩ .

أو يسوق إليها من طرائف المعاني، يدعها من موافقته والإيثار له كأنها هي التي تريده وكأنها هي التي تحاول أن يتصل أثرها بالكلام، إذ يكون قد استحوذ عليها وانفرد منها بالهوى والاستجابة. وعلى مقدار ما يكون في الكلام البليغ من هذا الصوت، يكون فيه من روح البلاغة".[١]

وفى سياق آخر يبين وجه الإعجاز القرآني لتلك الحروف فيقول:" ولو تدبرتَ ألفاظ القرآن في نظمها، لرأيت حركاتها الصرفية واللغوية تجري في الوضع والتركيب مجرى الحروف أنفسها فيما هي له من أمر الفصاحة فيهيئ بعضها لبعض، ويساند بعضها بعضاً، ولن تجدها إلا مؤتلفةً مع أصوات الحروف، مُساوقةً لها في النظم الموسيقي".[٢] ،ويضيف:" ولو تأملت هذا المعنى فضلاً من التأمل، وأحسنت في اعتباره على ذلك الوجه، لرأيته روح الإعجاز في هذا القرآن الكريم".[٣]

(و): **علماء اللغة المعاصرون**.

أدرك العلماء ما في هذه الحروف من الجمال الصوتي في التكرار الحرفي ،وشدة العلاقة بين صوت الحرف المكرر ورسم الصورة والمعنى، ومن هنا ، تُشكل الحروف الاهتزازية جرسا موسيقيا من خلال إيقاع اللفظ المفرد، وتناغم الكلمة، وهذا الجرس يشكل وقعا في الأذن، وينبه الأحاسيس في النفس، فجاءت الحروف الاهتزازية منسجمة أحيانا مع معطيات الدلالة الصرفية التي تستمد من طبيعة الأصوات من حيث: النغم، والإيقاع، والجَرْس.

(١) المصدر السابق .ص: ١٥٢.

(٢)إعجاز القرآن والبلاغة النبوية للرافعي. ص: ١٥٦.

(٣) المصدر السابق .ص: ١٥٢.

ولم يَغفل العلماء المعاصرون عن هذه الحروف الاهتزازية، فهم يرون أن الكلمة تقوم مقام الحركات الجسمية وما يصاحبها من انفعالات، فتمدنا بالإيحاء الذي يُعبِّر عن الموقف الذي جاءت الكلمة في سياقه.

يوضح الدكتور إبراهيم أنيس دلالات الألفاظ وأثرها في الاهتزاز المعنوي للنفس فيقول:" علي قدر شيوع الكلمة في البيئة الاجتماعية، وعلي قدر ما تمر به من تجارب في الأحداث الدنيوية، تكتسب تلك الظِلال الدلالية، وتترامي حدودها، وتتضح صورتها في الأذهان، ويقال عن الكلمة حينئذ إن دلالتها واضحة قوية لا غموض فيها ولا إبهام، فلا تكاد الأذن تتلقفها حتي يخطر في الذهن لها صورة بارزة المعالم والحدود، تضطَرب لها النفوس، وتنفعل العواطف".(١)

رابعاً: وجه الدلالة الإعجازية .

أ ـ تعريف الدلالة(٢) الإعجازية لغةً واصطلاحاً.

١ـ لغة:

يُقصد بالدّلالة لغةً الإرشاد إلى الشّيء والإبانة عنه ،فالدالُ واللام أصلان: أحدهما: إبانة الشيء بأمارةٍ تتعلمها، والآخَر: اضطرابٌ في

(١) دلالة الألفاظ، ص ١٨،مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨٠م.

(٢) وردت مشتقات مادة:(د.ل) في القرآن الكريم في سبعة مواضع منها: قوله تعالى: ﴿ إِذْ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ﴾[سورة طه: ٤٠]، وفي قوله تعالى:﴿ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ ﴾ [القصص: ١٢]، وفي قوله سبحانه:﴿ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ﴾ [سورة سبأ: ٧]، وفي قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [سورة الصف: ١٠]، وفي قوله سبحانه:﴿ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ ﴾ [سورة طه: ١٢٠].

الشيء. فالأوَّل قولهم: دلَلْتُ فلاناً على الطريق. والدليل: الأمارة في الشيء. وهو بيِّن الدَّلالة والدِّلالة"[١]،والدّلالة: ما يتوصّل به إلى معرفة الشيء، كدلالة الألفاظ على المعنى، ودلالة الإشارات، والرموز، والكتابة، والعقود في الحساب ".[٢]

٢ ـ اصطلاحا.

هي: أن يكون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر".[٣]وعرفها الأصفهاني بقوله:" دلالة اللفظ عبارة عن كونه بحيث إذا سُمِع أو تُخُيِّل لاحَظَت النفس معناه".[٤]وقال الزركشي هي:" كون اللفظ بحيث إذا أُطلق فَهِمَ منه المعنى مَنْ كان عالما بوضعه له ".[٥]

٣ ـ وجه الدلالة الإعجازية.

اعتنى العلماء ببيان أوجه الإعجاز القرآني ،لاسيما البياني منها، وذلك لأن:" القرآن الكريم ينفرد بأسلوبه؛ لأنه ليس وضعاً إنسانيا ألبتة، ولو كان من وضع إنسان لجاء على طريقة تُشبه أسلوباً من أساليب العرب أو مَن جاء بعدهم إلى هذا العهد، ولا بد من الاختلاف فيه عند ذلك في طريقته ونسقه ومعانيه ، لكن الله سبحانه حفظه مما يشينه من

---

(١) مقاييس اللغة مادة(د. ل) .ج٢ص ٢٥٩.

(٢)المفردات في غريب القرآن ص: ٣١٦.

(٣)كشاف اصطلاحات الفنون للعلامة محمد بن علي التهانوي .ج١ص ٧٨٧. تح د. رفيق العجم وآخرون. مكتبة لبنان. ط: ١ -١٩٩٦م.

(٤) شرح مختصر ابن الحاجب.ج١ص ١٢٠. لشمس الدين محمود بن عبد الرحمن الأصبهاني. تح د. علي جمعة. دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع. القاهرة ط١. ١٤٠٩هـ -٢٠٠٤م.

(٥)البحر المحيط في أصول الفقه .ج٢ص ٦٨. بدر الدين الزركشي. تحقيق لجنة من علماء الأزهر. دار الكتبي. ط٣. ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٥م.

تناقض واختلاف لا يخلو عنه الكلام المفترَى، وذلك من الدليل على أنه من عند الله، قال تعالى:﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾[١] ؛ولقد أحس العرب بهذا المعنى واستيقنه بلغاؤهم ولولاه ما أُفحِموا ولا انقطعوا من دونه؛ لأنهم رأوا جنساً من الكلام غير ما تؤديه طباعهم، وكيف لهم في معارضته بطبيعة غير مخلوقة؟".[٢]

يصف الإمام الخطَّابي(ت: ٣٨٨هـ) إعجاز القرآن بقوله:" إنما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة: لفظٌ حامل ، ومعنى به قائم ،ورباط لهما ناظِم. وإذا تأَملت القرآن وجدت هذه الأمور منه في غاية الشَرف والفضيلة حتى لا ترى شيئاً من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه ، ولا ترى نظماً أحسن تأليفاً وأشد تلاؤماً وتشاكلاً من نَظمه. وأما المعاني فلا خفاءَ على ذي عقل أنها هي التي تشهد لها العقول بالتقدم في أبوابها. والترقي إلى أعلى درجات الفضل من نعوتها وصفاتها. وقد توجد هذه الفضائل الثلاث على التفرق في أنواع الكلام ، فأَما أَن توجد مجموعة في نوع واحد منه فلم توجد إلا في كلام العليم القدير ، الذي أحاط بكل شيء علماً ، وأحصى كل شيء عدداً".[٣]

وقد بين الإمام الباقلاني (ت: ٤٠٣هـ) الوجه الإعجاز التأثيري للقرآن الكريم فقال:" القرآن أعلى منازل البيان، وأعلى مراتبه ما جمع وجوه الحسن وأسبابه، وطرقه وأبوابه: من تعديل النظم وسلامته ، وحسنه وبهجته، وحسن موقعه في السمع، وسهولته على اللسان، ووقوعه في

(١) سورة النساء الآية: ٨٢.
(٢) تاريخ آداب العرب .ج٢ص ٩٣.
(٣) بيان إعجاز القرآن .ص: ٢٧.

النفس موقع القبول، وتَصوره تصور المُشاهَد، وتشكله على جهته حتى يحل محل البرهان ودلالة التأليف، مما لا ينحصر حسناً وبهجة وسناء ورفعة.

ثم يضيف مبينا أثر الحروف على اهتزاز النفس فيقول:" وإذا علا الكلام في نفسه، كان له من الوقع في القلوب والتمكن في النفوس، ما يُذهل ويُبهج، ويُقلق ويؤنِس، ويُطمع ويُؤيس، ويُضحك ويُبكي، ويُحزن ويُفرح، ويُسكن ويزعج، ويشجي ويُطرب ويهز الأعطاف، ويستميل نحوه الأسماع .ويورث الأريحية والعزة، وقد يبعث على بذل المُهَج والأموال شجاعة وجوداً، ويرمي السامع من وراء رأيه مرمى بعيداً. وله مسالك في النفوس لطيفة، ومداخل إلى القلوب دقيقة. وبحسب ما يترتب في نظمه، ويتنزل في موقعه، ويجري على سمت مطلعه ومقطعه – يكون عجيب تأثيراته، وبديع مقتضياته".[١]

وقد عقد الزركشي(ت: ٧٩٤هـ) في كتابه البرهان فصلا بعنوان: (في أساليب القرآن وفنونه البليغة)، واعتبره المقصود الأعظم من كتاب البرهان ،و" بيت القصيدة وأول الجريدة وغرة الكتيبة وواسطة القلادة ودُرة التاج وإنسان الحَدقة. إلى أن قال: اعلم أن هذا عِلم شريف المحل عظيم المكان قليلُ الطُلاَّب ضعيف الأصحاب ليست له عشيرة تحميه ولا ذوو بصيرة تستقصيه ،وهو أَرقُّ من الشِعر وأَهول من البحر ،وأعجب من السِحر .

ثم يبين تأثير ألفاظ القرآن وأسلوبه على النفس فيقول:" وكيف لا يكون وهو المُطلع على أسرار القرآن العظيم الكافل بإبراز إعجاز النظم

(١)إعجاز القرآن للباقلاني . ص: ٢٧٧.

المبين ما أُودع من حسن التأليف وبراعة التركيب ،وما تضمنه في الحلاوة وجلَّله في رونق الطلاوة مع سهولة كلمِه وجزالتها وعذوبتها وسلاستها ،ولا فرق بين ما يرجع الحسن إلى اللفظ أو المعنى ،وشذ بعضهم فزعم أن موضع صناعة البلاغة فيه إنما هو المعاني فلم يَعُد الأساليب البليغة والمحاسن اللفظية ،والصحيح أن الموضوع مجموع المعاني والألفاظ إذ اللفظ مادة الكلام الذي منه يتألف ،ومتى أُخرجَت الألفاظ عن أن تكون موضوعا خرجت عن جملة الأقسام المعتبرة إذ لا يمكن أن توجد إلا بها وها أنا ألقي إليك منه ما يقضي له البليغ عجبا ويهتز به الكاتب طربا".[١]

ويصف الشيخ مصطفى صادق الرافعي(ت: ١٣٥٦هـ) بلاغة القرآن وإعجازه فيقول:" القرآن الكريم قد جمع في أسلوبه أرقى ما تُحس به الفطرة اللغوية من أوضاع البيان ومذاهب النفس إليه – فقد أحسوا بعجزهم عما امتنع مما قبله، وكان كل امرئ منهم كأنما يحمل في قرارة نفسه برهان الإعجاز، وإن حمل كل إفك وزور على طرف لسانه!،ولهذا انقطعوا عن المعارضة، مع تحديهم إليها على طول المدة وانفساح الأمر وعلى كثرة التقريع ،والتأنيب ،وعلى تصغير شأنهم وتحقيرهم، وذلك بالنزول عن التحدي بمثل القرآن كله، إلى عشر سور مثله، إلى عشر مفتريات لا حقيقة فيها، إلى سورة واحدة من مثله، ولو هُم أرادوا هذه السورة الواحدة ما استطاعوها؛ لأن إحساسهم منصرف إلى أصل الكمال اللغوي في القرآن، مستغرق فيه، فلا يرون المعارضة تكون إلا على هذا الأصل، أو تتحقق إلا به: وهو شيء لا تناله القدرة، ولا تيسره القوة".[٢]

(١)البرهان في علوم القرآن .ج٢ص ٣٨٢.
(٢) تاريخ آداب العرب .ج٢ص ١٢٧.

نخلص مما سبق أن للحروف الاهتزازية مفهومها ،وأثرها الواضح على السمع والنفس ،وهذا ما لاحظه علماؤنا القدامى حين أشاروا إلى مناسبة أصوات الحروف العربية لمعانيها، كما لمحوا في صوت الحرف العربي القيمة التعبيرية الموحية؛ ولم يتوقفوا عند الحرف وخصائصه فقط؛ وإنما أعملوا فكرهم في الحروف وما تُعبِّر عنه من أغراض موحية، فحدَّدوا العلاقة بين الأصوات والمعاني ودلالاتها.

الفصل الثاني

الوجه الإعجازي للحروف الاهتزازية

الفصل الثاني

الوجه الإعجازي للحروف الاهتزازية

سلف الحديث في الفصل الأول عن بيان مفاهيم البحث، والآن أنتقل إلى بيان استعمال القرآن لتلك الطائفة من الحروف الاهتزازية ، التي تم اختيارها بما يتناسب مع معانيها ، وسياقها ،فكانت دالة على ذاتها بذاتها ،وفيما يلي بيان لمواضع هذه الألفاظ في القرآن الكريم وتأثيرها في المعنى وصلتها بالتفسير وعلوم القرآن.

أولا: إثبات العصمة ليوسف عليه السلام.

وقد عبَّر عن هذا المعنى الحرف الاهتزازي (حَصْ حَص).

وقد ورد هذا الحرف الاهتزازي بصيغة الرباعي المضاعف على وزن (فَعلَلَ) ،وهو من فرائد القرآن حيث ورد في موضع واحد في سورة يوسف.

قال تعالى: ﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَاوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴾.(١)

والحاء والصاد في المضاعف أصولٌ ثلاثة: أحدها النصيب، والآخر وضوح الشيء وتمكنه، والثالث ذهاب الشيء وقِلَّته. فالأول: الحِصة، وهي النصيب، يقال: أحصَصتَ الرجل إذا أعطيتَه حصَّته. والثاني: قولهم حَصحَص الشيء: وضح. ومن هذه الحصحصة: تحريك الشيء حتى يستمكن ويستقر. والثالث: الحَص والحَصاص، وهو العَدْو.

(١) سورة يوسف الآيتان: ٥١، ٥٢.

وانحص الشعر عن الرأس: ذهب. ورجل أحص قليل الشعر. وحَصَّت البيضة شعر رأسه".[1] والحَصْحَصَةُ:" بيان الحق بعد كتمانه، وقد حصحص".[2]

والملاحظ من جملة المعاني التي تقدمت أن(حص حص) يتضح معناها من جهتين:

الأول: دلالاتها اللغوية (الظهور، والإزالة، والنصيب، والعَدو).الثاني: الزيادة في حروفها وصيغتها الصرفية إيذاناً بوجود معنى(المبالغة، والترديد، والشدة، والتمكّن...)، وإذا أجملناها قلنا: تأتي مادة (حَص حَص) متضمّنة معنيين أساسين: البيان القوي الساطع بإزالة ما يحجبه. والقوة المؤدية إلى التمكّن؛ فالقوّة آلة التمكن وسببها.

لقد كان تقرير الحقيقة وبيانُها، وحسن عاقبة الصبر إرهاصا لنبوة يوسف عليه السلام ،وجاء الفرَج بعد الشدّة وقد عبر عن هذه الدلالة الحرف الاهتزازي (حص حص) في سياق تبرئة يوسف . عليه السلام . من كلّ إتّهام. فهذه المقولة إقرارٌ ساطع، وبرهان قاطع على براءته عليه السلام من وقوعه في الفاحشة، وقد جاءت على لسان من افترى عليه ذلك، وهي امرأة العزيز نفسها، بعد أن بلج الحق وأدلج الظلام.

---

(١) مقاييس اللغة . مادة (ح .ص .ص).ج٢ص ١٢.، العين. باب الحاء مع الصاد مادة (ح .ص).ج٣ص١٤. الصحاح الجوهري. مادة (ح .ص .ص). ج٣ص ١٠٣٢ ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين- بيروت.، النهاية في غريب الحديث والأثر ج١ص ٣٩٤.

(٢) لسان العرب ، لابن منظور. فصل الحاء المهملة ،مادة (ح . ص .ص). ج ٧ص١٥ ، ط /(٢).دار صادر – بيروت.

وقد وجه المفسرون أقوالهم في تفسير الآية وفق ما حوته اللفظة من معان في أصلها اللغوي، فقال الإمام الطبري (ت:٣١٠ هـ) "وأصل حَصحص: "حصَّ"، ولكن قيل: "حصحص"، كما قيل:﴿ فَكُبْكِبُوا۟ ﴾[١] ، في "كُبوا"، ... وأصل" الحص": استئصال الشيء، يقال منه:" حَصَّ شعره"، إذا استأصله جزًّا. وإنما أريد في هذا الموضع بقوله:﴿ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ ﴾ [٢]ذهب الباطل والكذب فانقطع، وتبين الحق فظهر ".[٣]

فمن الدلالات الإعجازية للحرف الاهتزازي (حص حص) تحريك الحق بالبحث عنه واقتفاء أثره ،ويتمثل ذلك في وجوه منها:

الأول: دعوةِ الملك النسوة للإشهاد. ﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ﴾[٤]

الثاني: تبرئة النسوة ليوسف . عليه السلام . ﴿قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ﴾[٥]،يقول أبو حيان:" ولما كانت كلمة (حص حص) تعنى الظهور التام، وقولهن:﴿ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ﴾ [٦] ليس بإبراء تام، وإنما كان الإبراء التام وصف القصة على وجهها حتى يتقرر الخطأ في جهتهن، فلما سمعت امرأة العزيز مقالتهن وحَيدتهن عن الوقوع في الخزي قالت: ﴿ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ ﴾[٧]".[٨]

---

(١) سورة الشعراء من الآية: ٩٤.
(٢) سورة يوسف من الآية: ٥١.
(٣)جامع البيان ت شاكر ،ج١٦ص ١٤٠.
(٤) سورة يوسف من الآية: ٥١.
(٥) سورة يوسف من الآية: ٥١.
(٦) سورة يوسف من الآية: ٥١.
(٧) سورة يوسف من الآية: ٥١.
(٨) البحر المحيط في التفسير .ج٦ص ٢٨٨. مفاتيح الغيب .ج١٨ص ٤٦٨.

الثالث: وثوقها من إقبال العزيز عليها بالتقرير، "قالت: لم يبق إلاّ أن يُقبِل عليَّ بالتقرير فأقرّت، فذلك قولها:﴿حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ﴾ [1]»[2].

الرابع: تبرئة امرأة العزيز ليوسف، عليه السلام بقولها: ﴿حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ﴾ [3]

الخامس: إسناد الفعل إلى الفاعل؛ إلى الحق؛ والحق في القرآن ارتبط سياقيا بمعان عظيمة[4]

أما استقرارُ الحقّ وقوتُه وتمكُّنه فيتمثل فيما يلي:

أولا: إقرار امرأة العزيز . إقراراً اختيارياً [5]. بالحق بعد وثوقها من إقبال العزيز عليها بالتقرير، «قالت: لم يبق إلاّ أن يُقبِل عليَّ بالتقرير فأقرّت، فذلك قوله:﴿حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ﴾ [6]»

---

(١) سورة يوسف من الآية: ٥١.

(٢) التفسير الوسيط للواحدي .ج٢ص ٦١٧..

(٣) سورة يوسف من الآية: ٥١.

(٤) وردت مادة(ح. ق) في القرآن الكريم باشتقاقات مختلفة (٢٥٦ مرة تقريبا)انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن . ص٢٠٨ وما بعدها، وأصل الحَقّ: المطابقة والموافقة والحقّ يقال على أوجه: الأول: يقال لموجد الشيء بسبب ما تقتضيه الحكمة، ولهذا قيل في الله تعالى: هو الحقّ قال الله تعالى: { فَذلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَماذا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ} [يونس/ ٣٢] .والثاني: يقال للموجَد بحسب مقتضى الحكمة، ولهذا يقال: فعل الله تعالى كلّه حق، نحو قولنا: الموت حق، والبعث حق، والثالث: في الاعتقاد للشيء المطابق لما عليه ذلك الشيء في نفسه، كقولنا: اعتقاد فلان في البعث والثواب والعقاب والجنّة والنّار حقّ، والرابع: للفعل والقول بحسب ما يجب وبقدر ما يجب، وفي الوقت الذي يجب. المفردات في غريب القرآن .مادة(ح.ق).ص: ٢٤٦.

(٥) إقرار امرأة العزيز على نفسها اختيارا يدل على رغبتها في الاعتراف ،وتبرئة يوسف عليه السلام دون أن يُكرهَها أحد على ذلك ،وذلك من إعجاز القرآن، وقد استدل الحنفية بأن الإقرار خبر يحتمل الصدق والكذب، إلا أنه يصح الإقرار حالة الاختيار؛ لأن الإنسان غير متهم على نفسه، ولم يصح حالة الإكراه، لترجُّح جانب الكذب بسبب وجود التهديد. الفقه الإسلامي وأدلته للزحيلي .ج٦ص ٤٤٥٧.

(٦) سورة يوسف من الآية: ٥١.

قال الإمام ابن الجوزي:" وللمفسرين في ابتداء زليخا بالإقرار قولان:

أحدهما: أنها لما رأت النسوة قد برّأنه، قالت: لم يبق إلا أن يُقبِلن علي بالتقرير، فأقرت، قاله الفراء. والثاني: أنها أظهرت التوبة وحقّقت صدق يوسف، قاله الماوردي".[١]

قال أبو السعود: ﴿ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ ﴾ [٢] أي ثبت واستقر ،أو تبين وظهر بعد خفاء قاله الخليل ،وقيل هو مأخوذ من الحِصة وهي القِطعة من الجملة أي تبيَّن حصة الحق من حِصة الباطل كما تتبين حِصص الأراضي وغيرها".[٣]

ثانياً: ثبوت الحق بقول النسوة ﴿ مَا عَلِمۡنَا عَلَيۡهِ مِن سُوٓءٖ ﴾ [٤]، واعترافهن بنزاهة يوسف عليه السلام و براءته، ويبين الزمخشري هذا المعنى بقوله:" ولا مزيد على شهادتهنّ له بالبراءة والنزاهة ،واعترافهنّ على أنفسهنّ بأنه لم يتعلق بشيء مما قرفنه به، لأنهنّ خصومه. وإذا اعترف الخصم بأنّ صاحبه على الحق وهو على الباطل، لم يبق لأحد مقال".[٥]

ثالثا: ثبوت الحق بتقديم اسم الزمان للدلالة على الاختصاص، أي الآن وقع الحق لا قبله، فالقصر قصر تعيين. [٦]

---

(١) زاد المسير في علم التفسير.ج٢ص ٤٤٦.
(٢) سورة يوسف من الآية: ٥١.
(٣) إرشاد العقل السليم .ج٤ص ٢٨٤.
(٤) سورة يوسف من الآية: ٥١.
(٥)الكشاف .ج٢ص ٤٧٩.
(٦)التحرير والتنوير.ج١٢ص ٢٩١.

رابعاً: تقديم المسند إليه ﴿أَنَا﴾ على المسند الفعلي في جملة ﴿أَنَا رَاوَدتُّهُ﴾[1] وذلك للقصر، لإبطال أن يكون النسوة راودنه؛ فهذا إقرار منها على نفسها، وشهادة لغيرها بالبراءة، وزادت فأكدت صدقه ب (إن) واللام.[2]

خامساً: زيادة تأكيد صدقه عليه السلام بـ (إن) و(اللام) في قولها ﴿أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [3]

سادساً: تمكُّن الحق المتمثل في انكسار نفسية امرأة العزيز، وتقرّبها إلى يوسف عليه السلام، وتقديم نفسها فداءً له، وذلك في قوله تعالى على لسانها: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾.[4]

يقول الشيخ ابن عاشور في معنى هذه الآية :"والحق: هو براءة يوسف– عليه السلام– مما رمته به امرأة العزيز، وإنما ثبت حينئذ لأنه كان محل قيل وقال وشك، فزال ذلك باعترافها بما وقع. والتعبير بالماضي مع أنه لم يَثبت إلا من إقرارها الذي لم يسبق لأنه قريب الوقوع فهو لتقريب زمن الحال من المُضي. ويجوز أن يكون المراد ثبوت الحق بقول النسوة ﴿مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ﴾[5] فيكون الماضي على حقيقته. وتقديم اسم الزمان للدلالة على الاختصاص، أي الآن لا قبله للدلالة على أن ما قبل ذلك الزمان كان زمن باطل وهو زمن تهمة يوسف– عليه السلام–

(١) سورة يوسف من الآية: ٥١.
(٢)التحرير والتنوير.ج١٢ص ٢٩٢.
(٣) سورة يوسف من الآية: ٥١.
(٤) سورة يوسف من الآية: ٥٢.
(٥) سورة يوسف من الآية: ٥١.

بالمراودة، فالقصر قصر تعيين إذ كان الملك لا يدري أي الوقتين وقت الصدق أهو وقت اعتراف النسوة بنزاهة يوسف- عليه السلام- أم هو وقت رمي امرأة العزيز إياه بالمراودة".[١]

واجتماع حرفي الحاء والصاد مكررين له أثره في توجيه المعنى ،فلكل حرف منهما مخرج وصفة يتميز بها من غيره، فالحاء حرف حلقي يخرج من المخرج الثاني من الحلق وهو من الأصوات الرخوة المهموسة عند النطق به تنقبض فتحة المزمار من دون أن تُحدث اهتزازا في الوترين الصوتيين[٢]، أما صفاته فالعامة أنه حرف مهموس رخو احتكاكي، والخاصة أنه حرف منفتح لا مطبق، ولا مستعل، وهو ما يجعله مناسبا للتعبير عن خفاء الحق قبل ظهوره.

أما الحرف الثاني وهو الصاد، فمخرجه من الأسنان واللثة، أما صفاته ،فالعامة فهو حرف مهموس رخو، والخاصة أنه حرف مطبق غير منفتح ، مستعل غير مستفل، بيد أن له وصفاً تميز به أكثر من غيره وهو الصفير مع حرفي الزاي والسين ،وهو أقواهما للإطباق والاستعلاء.

فالصاد من الأصوات ذات الجَرس الصارخ بجانب السين والزاي إذ " يُلحظ أنها تؤدي مهمة الإعلان الصريح عن المراد في تأكيد الحقيقة، وهي بذلك تعبر عن الشدة حينا وعن العناية بالأمر حينا آخر، مما يشكل

(١) التحرير والتنوير .ج١٢ص ٢٩١.

(٢) انظر: علم الأصوات وأصوات اللغة العربية، ٦٢ - ٦٣..الرعاية لمكي بن أبي طالب. ص ٩٢ و ٩٨ . تحقيق د. احمد حسن فرحات، دار الكتب العربية.

نغما صارما في الصوت وأزيزا مشددا لدى السمع"[1].،وهذا الأزيز المُشدد الذي يُحدثه صوت الصاد في السمع جاء ليعبِّر عن وضوح الأمر وانكشافه وبذلك يتبين لنا جانبٌ جمالي وإعجازي في هذا الحرف الاهتزازي لاسيما في مجيئه للتعبير عن بزوغ نور براءة يوسف عليه السلام.

ثانياً: صفات المنافقين (ذَب ذَب).

وصَف القرآن الكريم المنافقين بالتذبذب والمراوغة والتلوُّن، فهم كالحِرْباء[2] التي يتغير لونها بحسب حرارة الشمس، فأول النهار لها لون، ووسط النهار لها لون، وآخره لها لون، وقد عبَّر عن هذا المعنى الحرف الاهتزازي (ذَ بَ ذَ بَ).

وهذا الحرف من فرائد القرآن فقد ورد مرّة واحدة في سورة النساء المدنية في وصف المنافقين بالمتلونين المترددين المتحيرين بين حالي الكفر والإيمان. قال تعالى:﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾[3] .

(١) د:محمد حسين الصغير. الصوت اللغوي في القرآن.ص١٧٩. ،دراسة الصوت اللغوي، د. أحمد مختار عمر. ص ٣٢٠، ط عالم الكتب القاهرة . ٢٠٠٤.م مناهج البحث في اللغة ، د. تمام حسان ١٠٣ دار الثقافة - مصر.

(٢) (الحرباء) دويبة على شكل سام أبرص ذات قوائم أربع دقيقة الرأس مخططة الظهر تستقبل الشمس نهارها وتدور معها كيف دارت وتتلون ألوانا ويُضرب بها المثل في الحزم والتلون فيقال (أحزم من حرباء) و (تلون تلون الحرباء) المعجم الوسيط. . مادة(ح. ر. ب). ج١ص ١٦٤.

(٣) سورة النساء الآيتان: ١٤٢، ١٤٣.

والذال والباء في المضاعف أصول ثلاثة: أحدها طويئر[١]، ثم يُحمل عليه ويُشبَّه به غيره، والآخر الحَد والحِدَّة، والثالث الاضطراب والحركة.[٢] ومنه الذَّبْذَبةُ وهى :تَرَدُّدُ الشيءِ المُعَلَّقِ في الهَواءِ ،والذَّباذِبُ: أشياءُ تُعَلَّق من الهَوادج، أوّلَ رأسِ البعير للزِّينةِ، الواحدُ ذُبْذُب، ورجلٌ مُذَبْذَبٌ ومُتَذَبْذِب أي مُتَرَدِّدٌ بين أمرَيْن وبين رَجُلَيْن لا يثْبُتُ على صَحابته لأحَدٍ".[٣]

وقد وجه المفسرون أقوالهم في تفسير الآية وفق ما حوته اللفظة من معان في أصلها اللغوي، قال الإمام الطبري(ت: ٣١٠هـ):" يعني جل ثناؤه بقوله: مذبذبين مترددين. وأصل التذبذب ، التحرك والاضطراب،...وإنما عنى الله بذلك أن المنافقين متحيِّرون في دينهم، لا يرجعون إلى اعتقاد شيء على صحة، فهُم لا مع المؤمنين على بصيرة، ولا مع المشركين على جهالة، ولكنهم حيارَى بين ذلك، فمثلهم المثلُ الذي ضرب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث قال: (مَثَلُ المنافق كمثل الشَّاة العائرة[٤] بين الغَنَمين، تَعِير إلى هذه مرة، وإلى هذه مرة[٥]، لا تدري أيَّهُما تَتْبع!)[٦].[٧]

---

(١) الطويئر: تصغير طائر وهو هنا الذُباب المعروف، وواحدته ذبابة، ومما يشبَّه به ويحمل عليه ذباب العين: إنسانها. ويقال ذَبذبتَ عنه، إذا دفعتَ عنه، كأنك طردت عنه الذباب التي يتأذى به. مقاييس اللغة. مادة(ذ. ب). ج٢ص ٣٤٨.

(٢) مقاييس اللغة. مادة(ذ. ب). ج٢ص ٣٤٨.

(٣) العين . مادة(ذ. ب). ج٨ص ١٧٨.، والمعجم الاشتقاقي المؤصل. مادة(ذ. ب). ج٢ص ٦٩٨.

(٤) الشاة العائرة : هي المترددة بين قطيعين لا تدري أيهما تتبع. من قولهم: "عار الفرس والكلب وغيرهما يعير عياراً"، ذهب كأنه منفلت من صاحبه، فهو يتردد هنا وهنا. النهاية في غريب الحديث والأثر ج٣ص ٣٢٨.

(٥)وقوله: تَعير إلى هذه مرة ، أي: تذهب في ترددها إلى هذه مرة، وإلى هذه مرة.

(٦)أخرجه مسلم في صحيحه . كتاب صفات المنافقين وأحكامهم . حديث (٢٧٨٤)،ج٤ص ٢١٤٦.

(٧)جامع البيان للطبري . ج٩ص ٣٣٢. ،وتفسير المنار. ج٥ص ٣٨١.

وحقيقة المذبذَب بيَّنها الفخر الرازي(ت: ٦٠٦هـ) بقوله:" هو الذي يُذب عن كلا الجانبين، أي يُرد ويُدفع فلا يقر في جانب واحد، إلا أن الذبذبة فيها تكرير ليس في الذب، فكان المعنى كلما مال إلى جانب ذب عنه".[١]

وقد أشار الزمخشري(ت: ٥٣٨هـ) إلى أن التذبذب حالة مذمومة ،وهى من صفات المنافق فقال:" مُذَبْذَبِينَ إمّا حال أو منصوب على الذم. ومعنى (مُذَبْذَبِينَ) ذبذبهم الشيطان والهوى بَين الإيمان والكفر، فهم متردّدون بينهما متحيرون. وحقيقة المذَبذَب الذي يُذبَّ عن كلا الجانبين أي يُذاد ويُدفَع فلا يقرّ في جانب واحد، كما قيل: فلان يَرمى به الرَحَوان[٢]، إلا أن الذبذبة فيها تكرير ليس في الذب كأن المعنى: كلما مال إلى جانب ذُبَّ عنه...وذلِكَ إشارة إلى الكفر والإيمان ،لا منسوبين إلى هؤلاء فيكونون مؤمنين ولا منسوبين إلى هؤلاء فيسمَون مشركين".[٣]

ولما كان هذا التذبذب يُعبِّر عن حالة القلق الذى يصيب المنافقين قال أبو حيان(ت: ٧٤٥هـ):" مُذَبْذَبِينَ مقلقَلين. لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء والمراد بأحد المشار إليهم المؤمنون، وبالآخر الكافرون. والمعنى: لا يعتقدون الإيمان فيُعدوا من المؤمنين، ولم يقيموا على إظهار الكفر فيُعدوا مع الكافرين. ويتعلق إلى بمحذوف تقديره: ولا منسوبين إلى هؤلاء".[٤]

---

(١) مفاتيح الغيب .ج١١ص ٢٤٩.

(٢)قوله :يَرمى به الرَحَوان. الرحَى معروفة، والألف منقلبة من الياء. تقول: هما رحيان. وفيه أيضاً، رحت الحية ترحو، إذا استدارت. والرحي: قطعة من الأرض تستدبر وترتفع على ما حولها. ورحى القوم: سيدهم. والأرحاء: الأضراس. الصحاح . مادة(ر .ح. ى).ج٦ص ٢٣٥٣.

(٣)الكشاف.ج١ص٥٨٠. والبحر المحيط ج٤ص ١١٠.

(٤)البحر المحيط .ج٤ص ١١١.

وقد بين الشيخ ابن عاشور(ت:١٣٩٣هـ) دلالة هذا الحرف الاهتزازي فقال:" والمذبذَب اسم مفعول من الذبذبة، يقال: ذبذبه فتذبذب، والذبذبة: شدة الاضطراب من خوف أو خجل، قيل: إن الذبذبة مشتقة من تكرير ذَبَّ إِذَا طَرَدَ ، لأن المطرود يعجل ويضطرب، فهو من الأفعال التي أفادت كثرة المصدر بالتكرير، مثل زلزل ولملم بالمكان وصلصَل وكبكَب".(١)

وما تضمنته هذه الآية الكريمة من كون المنافقين ليسوا من المؤمنين، ولا من القوم الذين تولوهم ،جاء موضحا في غير هذا الموضع . قال تعالى:﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾(٢) ،وقوله سبحانه:﴿ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴾.(٣) وقوله جل جلاله:﴿ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾.(٤)

وفي صوت الذال تذبذب واهتزاز، وصوته يخرج من طرف اللسان والأسنان، وهذا ما يُحدِث الاهتزاز، وحينما يرتبط بصوت الباء يحصل التردد، كما أنه صوت يوحي بالاتساع والمد، فينتج عنه الذبذبة، وحين

(١) التحرير والتنوير .ج٥ص ٢٤١.
(٢) سورة البقرة الآية: ١٤.
(٣) سورة التوبة الآية: ٤٥.
(٤) سورة النور الآيات : ٤٧ : ٥٠

تكرر حرف الذال بصورة متوازية مع حرف الباء أوحت اللفظة (مذبذبين) إلى ذهن السامع بدلالة المعنى وهي التردد وعدم الاستقرار، ونلحظ هنا من خلال إيحاء اللفظة انسجام المعنى مع صورة المنافقين، وما هم فيه من حَيرة وتردد واضطراب، لا يستقرون على حال في إشارة واضحة موحية إلى حالهم، فهم مع الكفار يُظهرون كفرهم ومع المؤمنين يُبطنون، وهذا ما أوحت به الكلمة من خلال التكرار الحاصل برسم صورة موحية تجسد حال السلوك الداخلي والخارجي للمنافقين .[١]

ومما زاد في قوة الإيحاء ورود صوت الباء الشفوي المجهور، متوسط الشدة أو الرخاوة. حيث يحصل صوت هذا الحرف بانطباق الشفتين على بعضهما بعضا في ضمة متأنية وانفتاحهما عند خروج النَفَس. ولذلك فإن صوته يوحي بذات الأحاسيس اللمسية التي تعانيها الشفتان لدى انطباقهما على بعضهما بعضا، من الليونة والمرونة والتماسك مع شيء من الحرارة. ومجيئه في بداية الكلمة مما يوحي بالانفتاح والانحباس وفي ذلك شيء من التضاد، وهكذا فإن خصائص صوت هذا الحرف موزعة بين اللمسي الإيحائي والبصري الإيمائي، مع ملاحظة وجود التناقض بين الانغلاق والانفتاح في خصائصه الإيمائية. فكأن المنافق متردد متحير في الاختيار بين الكفر والإيمان، فنلحظ أن المعاني تتولد من دلالاتها الصوتية التي تشكلها الحروف في الكلمة على شكل ذبذبات تستقر في سمع المتلقي وتوحي بالتردد والحيرة. [٢]

(١) أنظر دراسات فنية في صور القرآن . الدكتور محمود البستاني . ص ١١٧.

(٢)أنظر: خصائص الحروف العربية .ص ٧١. مناهج البحث في اللغة ، د. تمام حسان ١٠٣ دار الثقافة - مصر.

وفى الآية دلالة إعجازية علمية تشير إلى ظاهرة التذبذب أو التواتر في الطبيعة ،فالذبذبة وتُسمَّى الاهتزاز، حركة تأرجحية لجسم جيئةً وذهاباً. وتتذبذب جميع الأشياء ولكن بدرجات متفاوتة. ومن الممكن أن تكون الذبذبات ضعيفة جداً أو سريعة جداً أو بطيئة جداً لحد يصعب كشفه.(١)،والتذبذب "في علوم الرياضة والهندسة المسافة التي يقطعها جسم يتحرك حركة تذبذبية من أقصى نقطة على أحد جانبي محور التماثل حتى يعود إلى هذه النقطة ثانية".(٢)،ويُسمى التذبذب الميكانيكي اهتزازاً كحركة البندول الذي يتأرجح بين اليمين واليسار حول نقطة وسطية هي نقطة الاتزان، وأيضاً الشكل المَوجي للتيار المتناوب .ولا ينحصر التذبذب في الأنظمة الفيزيائية فقط، بل نجده أيضا في دورات حيوية مثل دورة النباتات عبر فصول السنة أو في المجتمع الإنساني.(٣)

ثالثاً: نعيم الجنة (زُح زِحَ ـ رَف رَف ـ لُؤ لؤ).

وردت مجموعة من الحروف الاهتزازية معبرة عن معانى النجاة من النار، ومتحدثة عن أنواع من نعيم الجنة.

أ: النجاة من النار.

ورد هذا الحرف الاهتزازي(زح زح) بصيغة المبني للمجهول – على زنة "فَعْلَلَ"،" فُعْلِلَ" والزاي والحاء يدل على البعد. يقال زُحزِح عن كذا، أي بُوعد.(٤) وقيل: زحَّه: نحَّاه عن موضعه، ودفَعَه، وجَذبَه في عجلة.

(١)الموسوعة العربية العالمية .مادة(الذبذبة).ج ١٠ص ٦٣٢.
(٢) المعجم الوسيط .مادة(ذ. ب).ج١ص ٣٠٩.
(٣) الموسوعة العربية العالمية . ج ١٠ص٦٣٢.
(٤) مقاييس اللغة . مادة(ز. ح. ح). ج٣ص ٧.

وزحزحه عنه: باعده فتزحزح، وهو بِزَحزَحٍ منه، أي: بِبُعد، والزحزاح: البعيد[١]، وقال الخليل: الزحزحة: التنحية عن الشيء، يقال: زحزحته فتزحزح، والزحزحة إبعاد الشيء المستثقَل المترامي لما يُبعَد عنه".[٢]

وقد ورد هذا الحرف الاهتزازي في القرآن الكريم في موضعين.

الأول: في قوله تعالى: ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾.[٣]

وتتحدث هذه الآية عن "الدعوى التي يدعيها بنو إسرائيل، ليتخذوا منها مَقنعا لهم وللناس، من أنّهم أبناء الله، وأنهم موضع رعايته واختصاصه إياهم بالرحمة والرضوان – وهذه الدعوى مفتراة على الله، أوردوا بها أنفسهم موارد الضلال والهلكة. وليس أدل على بطلان هذه الدعوى وفساد هذا المتعلّق الذي يتعلقون به، من أنهم لو كانوا يؤمنون حقّا بصدق هذه الدعوى لكان تعلقهم بالدار الآخرة أكثر من تعلقهم بالحياة الدنيا، ففي الآخرة نعيم لا ينفد أبدا، وسعادة شاملة لا تدخل عليها شائبة من شقاء أو نصب. ولكنَّ القوم يتعلقون بالحياة الدنيا أشد التعلق، وينفرون من كل أمر يقطعهم عن هذه الحياة ويَصلهم بالآخرة، أشدّ النفور. ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ ﴾ ،فَهُم أحرص الناس جميعا بلا استثناء على الحياة، حتى إنّ المشركين الذين لا يؤمنون بالآخرة، ولا يرجون حياة بعد هذه الحياة ليس فيهم هذا الحرص على

(١) القاموس المحيط .مادة(ز. ح) ص: ٢٢٢.

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور .٢ص ٦٣.

(٣) سورة البقرة الآية: ٩٦.

التمسك بالحياة التي يحرص اليهود عليها هذا الحرص العجيب. ﴿ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ﴾ ليستوفي حظَّه من الجَمع والاقتناء ﴿ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ﴾ فليس له من هذا المصير مَهرب، وإن امتد عمره إلى آلاف السنين!"(١)

الثاني: قوله تعالى:﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾(٢)

وهذه الآية الكريمة " مواساة وعزاء كريم إلى النبي صلى الله عليه وسلم، بما تُهوّن عليه من أمر الدنيا، وما يلقى في تبليغ رسالة ربّه، من عناد وعَنت، وما يُعرِّض له نفسَه وأصحابَه المجاهدين معه من جُهد وبلاء، في ملاقاة الموت، والاستشهاد في سبيل الله. فهذا كلّه هيّن في لقاء الجزاء الحسن، الذي أعدّه الله لرسوله وللمؤمنين، من رِضَى ونعيم. أما أمر الموت، فهو حُكم واقع على كل حيّ، ونازل بكل نفس.﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ وإذا كان ذلك هو الشأن، فالحرص على الحياة، والفرار من مواقف الحق والخير، طلبا للأمن والسلامة أمر لا يَكتب الخلود لأحد، فضلا عن أنه لا يَمدّ له لحظة واحدة في أجله المقدور له. وأما الذي ينبغي الحرص عليه، والبذل من أجله، فهو الآخرة، التي هي دار البقاء

(١) التفسير القرآني للقرآن .ج١ص ١١٢.
(٢) سورة آل عمران الآية: ١٨٥.

والخلود. وإذا كان هذا شأنها وذلك وزنها وقدرها، فإن العقل يقضى بطلب العمل لها، والسلامة فيها".[١]

وهذه الزحزحة عن النار عبَّر عنها القرآن الكريم بالفوز العظيم في قوله تعالى: ﴿ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾[٢] ،وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ ﴾[٣] وقوله تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾[٤]

وقد جاء التعبير القرآني عن هذه التنحية والإبعاد بلفظ (زحزح) دون غيره من الألفاظ لما في هذا اللفظ من القوة في التعبير عن المعنى المقصود الدقيق، يقول الفخر الرازي(ت: ٦٠٦هـ):" ولما دلت الزحزحة على التبعيد والإنحاء، نَفَى القرآن أن تؤثر في إزالة العذاب أقل تأثير ،ولو قال تعالى: وما هو بمُبعِده وبمُنجيه لم يدل على قلة التأثير كدلالة هذا القول". [٥]

وقد اكتسب هذا اللفظ قدرته التعبيرية من جهتين:

الأولى: من جهة صوت الزاي الذي تكرر مرتين في اللفظ، وهذا الصوت هو من الأصوات الصفيرية المجهورة الذي يصاحبه حدوث زفير

(١)التفسير القرآني للقرآن ج١١ص ٨٧٨.
(٢) سورة الفتح الآية: ٥.
(٣) سورة النبأ الآيات: ٣١. ٣٦.
(٤) سورة الأحزاب الآية: ٧١.
(٥) تفسير الرازي .ج٣ص ٦١٠.

يخرج من الأوتار الصوتية عند النطق به[١]، ما جعل هذا اللفظ يكون أكثر مناسبة في تصوير "مشهد الإبعاد والتنحية بكل ما يقع في هذا المشهد من أصوات وما يصاحبه من ذعر الذي يمر بحسيس النار ويسمعه ويكاد يَصلاه".[٢]

أما الثانية: فمن جهة تكرار المقطع الصوتي، وهذا التكرار في حقيقته أعطى للبِنية الصوتية داخل التركيب بعداً إيحائيا قام على أساس رصد العلاقة المتضمنة بين الشكل والدلالة [٣]، وعليه فإن البنية الصوتية هنا التي قامت على التكرار المضاعف جاءت مكتَنزة بالدلالة ما يجعل المتلقي يستطيع الوقوف عليها بأدنى تأمل.

فضلا على ذلك كله فإنه يمكن استشعار الانفعالات النفسية لدى المعنِيين بالنص الكريم[٤]، وهم في حال الزحزحة عن النار، وبهذا الحرف الاهتزازي يصور القرآن الكريم الانفعالات النفسية لدى المؤمنين ،وهم في حال زحزحتهم عن النار، فهم بين حالين من الشدة والرخاء، أما الشدة فقد جاءت من قربهم من النار وكأنما ما زال في نفوسهم خوف منها، وقد جاء صوت الزاي الصفيري المجهور ليعادل هاجس الخوف لديهم، وأما الرخاء فقد جاء من دنوهم من الجنة واستبشارهم بها، وقد جاء صوت الحاء المهموس ليعبر عن تلك الحال.

---

(١) ينظر: المختصر في أصوات اللغة العربية، د :محمد حسن حسن جبل. ص ١٢٥.

(٢) مباحث في علوم القرآن . مناع القطان . ص٣٣٥.

(٣) البنى الأسلوبية، حسن ناظم. ص ٩٨.

(٤) لمزيد من التفصيل راجع حول هذا المعنى :التعبير القرآني والدلالات النفسية . للدكتور: عبد الله محمد الجيوسي . دار الغوثانى للدراسات القرآنية . دمشق . ط/أولى . ١٤٢٦ . ٢٠٠٦م.

ب: وصف نعيم الجنة وفُرُشها.

وقد عبر عن هذه الدلالة الحرف الاهتزازي (رَف رَف)

ورَفْرَفُ الأيكةِ ما تهدَّل من غُصونها. والرَفْرَف: الشجر الناعم المسترسِل، وكِسْر الخِباء أو نحوه، وخِرْقَة تخاط في أسفل السُرادق والفسطاط ونحوه. وشجر رَفِيف: إذا تندَّى. وشجر رَفَّافُ الوَرَق وقد رَفَّ، وهو أن يهتز نضارة أو خضرة وتلألؤًا . تَلالأ وأشرق ماؤه. ويقال للشيء إذا كثُر ماؤُه من النَعْمة والغَضَاضة حتى كانَ يهتز: رَفَّ رفيفاً. ويقال هو يَرِفُّ رَفِيفًا: يَقْطُر نَدَاه. وكل مُسْترَقٍّ من الرمل رَفٌّ. والرفرف البِساط أو السِتْر، والرقيقُ من الديباج ثياب خُضْر يُتَّخَذُ منها للمجالس ،وهى رياض الجنة أو الفُرُش والبُسُط. ومن صُورة الرفرف وما يُتَصَوّر من ظِلّه وبَرْد ما تحته قالوا: رَفْرَف على القوم: تحدّب[1] ".[2]،ورَفِيفُ الشّجر: انتشار أغصانه، ورَفَّ الطّير: نشر جناحيه، يقال: رَفَّ الطّائرُ يَرُفُّ، ورَفَّ فرخَهُ يَرُفُّهُ: إذا نشر جناحيه متفقّدا له.[3]

والمعنى المحوري لهذه الاشتقاقات يعنى :طرَفٌ رقيقٌ يمتد رِخْوًا أو غَضًّا نَدِيًّا. كرفرف الشجر والخباء والفُسطاط، وكورق الشجر الموصوف، ومُسْتَرَقّ الرمل يكون عادة رقيقاً ناعماً ممتدّاً من عُظْم أصله، والطائر يرفرف في الهواء.[4]

---

(١)حَدَب عليه إذا عَطف وأشفَق، فهو من هذا، لأنه كأنه جَنأ عليه من الإشفاق، وذلك شبيه بالحَدب. مقاييس اللغة. مادة(ح .د .ب). ج٢ص ٣٦.

(٢)المعجم الاشتقاقي المؤصل .ج٢ص ٨٢٧.

(٣)المفردات في غريب القرآن .ص: ٣٥٩.

(٤)المعجم الاشتقاقي المؤصل .ج٢ص ٨٢٧.

وهذه اللفظة من فرائد القرآن الكريم حيث وردت مرّة واحدة في سياق الحديث عن نعيم الجنة حيث يتكئ أهلها على فُرُش ذوات أغطية خضر حسان عجيبة الصنع. قال تعالى: ﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾[١]

وقد وجَّه المفسرون أقوالهم في تفسير هذه الآية وفق ما حوته اللفظة من معان في أصلها اللغوي، فقالوا في معنى (رَف رَف) ستة أوجه:

أحدها: أن الرفرف المحبَس[٢] المُطيف ببُسُطه، وهى:" ثياب خُضر تُتخذ منها المحابس وتبسط"[٣]،**الثاني**: فضول الفُرُش والبُسُط ، قاله ابن عباس. وكل ما فضل فثُنِي ،والرفرف: ضرب من البُسط. وقيل البسط وقيل الوسائد، وقيل كل ثوب عريض رفرف. ويقال لأطراف البُسط وفضول الفسطاط رفارف.[٤]**الثالث**: أنها الوسائد، قاله الحسن وعاصم الجحدري.[٥] **الرابع**: أنها الفُرُش المرتفعة، مأخوذ من الرَف. وإما أن يكون من رَفْرَفة الطائر، وهي حَومُه في الهواء حول ما يريد النزول عليه ،تقول العرب: أرفَّت الدجاجة على بيضها: بسطت الجناح. والرفرفة: الصوت، وتحريك الظليم جناحيه حول الشيء يريد أن يقع عليه. فيكون المعنى أنهم على

---

(١) سورة الرحمن الآيتان: ٧٦.٧٧.

(٢)المحبَس: المقعَد والمَجْلِسُ ،و الثوب يطرح على ظهر الفراش للنوم عليه، والحصير سمّي بذلك لحصر بعض طاقاته على بعض. المفردات في غريب القرآن. مادة (ح. ص. ر) ص: ٢٣٨. القاموس المحيط ص: ٥٣٧.

(٣)القاموس المحيط . . مادة(ر. ف). ص: ٨١٤.

(٤) الكشاف. ج ٤ص ٤٥٤. تفسير أبي السعود .ج٨ص ١٨٧.، والقاموس المحيط . مادة(ر. ف). ص: ٨١٤.

(٥)القاموس المحيط . مادة(ر. ف). ص: ٨١٤.

بُسط مرفوعة كما قال تعالى:﴿ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴾ [١] ،وهذا يدل على أن قوله تعالى: ﴿ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴾[٢] أنهما دونهما في المكان حيث رُفعت فُرشهم".[٣]

ويشير القرطبي إلى أن الرفرف من رَفْرَفة الطائر، وهي حَومُه في الهواء حول ما يريد النزول عليه فيقول:" وقد قيل: إن الرفرف شيء إذا استوى عليه صاحبه رفرف به وأهوى به كالمرجاح يمينا وشمالا ورَفعا وخفضا يتلذذ به مع أنيسته".[٤]

الخامس: أنها المجالس يتكئون على فضولها.[٥]

السادس: رياض الجنة، قاله ابن جبير. [٦] فالرفرف أصله من رف الزرع إذا بلغ من نضارته فيكون مناسبا لقوله تعالى: ﴿ مُدْهَآمَّتَانِ ﴾ [٧]ويكون التقدير أنهم متكئون على الرياض والثياب العبقرية. [٨]

وتُعبِّر الراء عن الاسترسال رقة أو حركة، والفاء للنفاذ بابتعاد أو طرد، وباجتماعهما عبَّر الفصل عن طَرف رقيق أو رخو يمتد من الشيء بابتعاد كرفرف الأيكة: ما تهدل من غصونها.[٩]

---

(١) سورة الواقعة الآية: ٣٤.

(٢) سورة الرحمن الآية: ٦٢.

(٣) تفسير الرازي .ج٢٩ص ٣٨١.

(٤)الجامع لأحكام القرآن. ج ١٧ص ١٩١.

(٥) الكشاف .ج٤ ص ٣٢٦.

(٦) غريب القرآن لابن قتيبة. ص ٤٤٣.

(٧) سورة الرحمن الآية: ٦٤.

(٨) الكشاف. ج ٤ص ٤٥٤. ،تفسير أبي السعود .ج٨ ص ١٨٧.

(٩)المعجم الاشتقاقي المؤصل .ج٢ص ٨٢٧.

إن اقتران الراء بصوت الفاء المهموس الضعيف دل على التناوب بين الحركة والسكون، أو القبض والبسط، أو الاقتراب والابتعاد؛ ليدل على دوام الراحة والحرية والانبساط و السعادة التي تغمر أهل الجنة، فالراء صوت تكراري مجهور متوسط بين الشدة والرخاوة، أما الفاء فهو من الأصوات المهموسة المرققة، ولعل الهمس والترقيق والرخاوة التي تتمتع بها هذه الأصوات جاءت متساوقة مع دلالة اللفظ، وبذلك جعلته أكثر سموا وجمالا في سياقه هذا الذي لا يمكن للفظ آخر أن يحل محله؛ فهو يرسم صورة المعنى من خلال جَرْس الكلمة الذي صبَّته في السمع، وأوحت بجو من الصعود والنزول وهذه الحركة أشبه بالأرجوحة، وهنا يظهر الانسجام بين المعنى الموحِي بالحركة وبين طبيعة حرف الراء الاهتزازية، وبهذا الإيحاء يتصور المرء ذلك النعيم الدائم الذي لا ينقطع في الجنة. (١)

والذي يتسابق إلى السمع حين تردد هذا اللفظ ذلك الصدى الحالم الذي يتمتع به فأنت حين تُردده تستشعر بالرخاء والهدوء، إذ تتجلى لك صورة الحياة هناك بأرقِّ مظاهرها فهي ناطقة بمضمونها تؤدي معناها من خلال أصواتها(٢). فالراء صوت تكراري مجهور متوسط بين الشدة والرخاوة، أما الفاء فهو من الأصوات المهموسة المرققة. ولعل الهمس والترقيق والرخاوة التي تتمتع بها هذه الأصوات جاءت متساوقة مع دلالة اللفظ وبالتالي جعلته أكثر سموا وجمالا في سياقه هذا الذي لا يمكن للفظ آخر أن يحلَّ محله، لما فيه من قيمة جمالية دلالية(٣)، كما أن تكرار

(١) الصوت اللغوي في القرآن .ص ١٧٦.
(٢) الصوت اللغوي في القرآن .ص ١٧٦.
(٣) جمالية الكلمة د. حسين جمعة. ص ٥٤.

المقطع الصوتي فيه يبعث في النفس إيحاءً بتكرار المشهد فتكرار المقطع يوحي بتكرار الحدث واستمراره(١).

ج: جمال خَدَم الجنة وتشبيههم بصفاء اللؤلؤ وبريقه.

وقد عبَّر عن هذا المعنى الحرف الاهتزازي (لُ ؤ لُ ؤ)

فاللام والهمزة تدل على صفاءٍ وبريق، من ذلك: تلألأت اللؤلؤة، وسُميت لأنها تلألأ(٢)واللؤلؤ: الدُر، واحده بِهاء(٣) ويقال هو كبار اللؤلؤ سُمي بذلك لاضطراب يُرى فيه لصفائه، كأنه ماء يضطرب. وسميت الدرّة بذلك لضوئها ولمعانها، ولألأتِ النارُ: إذا توقدت والكوكب الدري(٤): الثاقب المضيء. شُبِّه بالدر ونُسب إليه لبياضه.(٥)والدري المتلألئ الوقاد شبيه بالدر في صفائه وزهرته ودراري الكواكب عظامُها المشهورة(٦)

وقد ورد هذا الحرف الاهتزازي في أكثر من موضع في القرآن الكريم منها:

وصف جمال خدم الجنة وهم يطوفون على أهلها لخدمتهم، كأنهم في الصفاء والبياض لؤلؤ مصون. قال تعالى:﴿ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأۡسٗا لَّا لَغۡوٞ فِيهَا وَلَا تَأۡثِيمٞ ٢٣ وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ غِلۡمَانٞ لَّهُمۡ كَأَنَّهُمۡ لُؤۡلُؤٞ مَّكۡنُونٞ ﴾(٧)

---

(١) النص القرآني وأساليب تعبيره، د. زهير غازي زاهد. ص ٩٨.
(٢) مقاييس اللغة . مادة(لأ). ج٥ص ١٩٩.
(٣)القاموس المحيط . باب الهمزة . فصل اللام. ص: ٥١.
(٤) جاء وصف الكوكب في لمعانه بالدُر وهو كبار اللؤلؤ في قوله تعالى:﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۗ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴾ [سورة النور الآية: ٣٥].
(٥)مقاييس اللغة . مادة (د. ر). ج٢ص ٢٥٦.
(٦)إرشاد العقل السليم .ج٦ص ١٧٦.
(٧) سورة الطور الآيتان: ٢٣، ٢٤.

وقد وجَّه المفسرون أقوالهم في تفسير الآية وفق ما حوته اللفظة من معان في أصلها اللغوي، فمن ذلك قولهم:" وقد وصف اللؤلؤ بالمكنون: المخزون لنفاسته على أربابه فلا يُتحلى به إلا في المحافل والمواكب فلذلك يبقى على لمعانه وبياضه.[١]،يقول صاحب الكشاف(ت: ٥٣٨هـ): "مَكْنُونٌ في الصَدف، لأنه رطباً أحسن وأصفى. أو مخزون لأنه لا يُخزَن إلا الثمين الغالي القيمة".[٢]

وقد صورتهم آية أخرى بأنهم غلمان دائمون على حالهم، يطوفون علي أهل الجنة بخفة ونشاط للبهجة والسرور كأنهم لؤلؤ منثور مضيء وذلك لحسنهم وصفاء ألوانهم [٣]، قال تعالى:﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴾.[٤] ،كما وُصفَت الحور العين بأنهن ﴿ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴾ [٥]

واللؤلؤ زينة أهل الجنّة، قال تعالى :﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾[٦]،وقوله تعالى:﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾[٧] فلباس أهل الجنّة من أفخر الثياب؛ كالحرير، و زينتهم الفضة والذهب واللؤلؤ.

(١) التحرير والتنوير .ج٢٧ص ٥٦.
(٢)الزمخشري الكشاف.٤ص ٤١٢.
(٣) سورة الإنسان الآية: ١٩.
(٤) سورة الإنسان الآية: ١٩.
(٥) سورة الواقعة الآية: ٢٣.
(٦) سورة الحج الآية: ٢٣.
(٧) سورة فاطر الآية: ٣٣.

واللؤلؤ في الدنيا من نعم الله ،وهو من أنفس الجواهر التي يستخرجها الناس من البحار ليتخذوها حِلية يلبسونها ويتزينون بها قال تعالى:﴿ يَخۡرُجُ مِنۡهُمَا ٱللُّؤۡلُؤُ وَٱلۡمَرۡجَانُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾[1] ،وقد كرر الامتنان بهذه النعمة في القرآن في قَوْلُهُ سبحانه:﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُواْ مِنۡهُ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَا ﴾[2] ، واللؤلؤ والمرجان هما الحلية التي يستخرجونها من البحار والأنهار للبسها قال تعالى:﴿ وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡبَحۡرَانِ هَٰذَا عَذۡبٞ فُرَاتٞ سَآئِغٞ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلۡحٌ أُجَاجٞۖ وَمِن كُلّٖ تَأۡكُلُونَ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُونَ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَا ﴾.[3]

وفى هذا الحرف دلالة إعجازية علمية فاللؤلؤ "من أعجب ما في البحار، فهو يهبط إلى الأعماق وهو داخل صدفة من المواد الجيرية لتقيه من الأخطار، ويختلف هذا الحيوان عن الكائنات الحية في تركيبه وطريقة معيشته، فله شبكة دقيقة كشبكة الصياد، عجيبة النسج، تكون كمصفاة تسمح بدخول الماء والهواء والغذاء إلى جوفه، وتحول بين الرمال والحصى وغيرها. وتحت الشبكة أفواه الحيوان، ولكل فم أربع شفاه. فإذا دخلت ذرة رمل، أو قطعة حصى، أو حيوان ضار عنوة إلى الصدفة، سارع الحيوان إلى إفراز مادة لزجة يغطيها بها، ثم تتجمد مكونة لؤلؤة! وعلى حسب حجم الذرّة التي وصلت يختلف حجم اللؤلؤة!".[4]

---

(١) سورة الرحمن الآيتان: ١٩ .٢٣.

(٢) سورة النحل الآية: ١٤.

(٣) سورة فاطر الآية: ١٢.

(٤)الأساس في التفسير.ج.١٠ص ٥٦٦٤.

رابعاً: تصوير انفعال الخوف الشديد(زَل زَل).

الخوف: انفعال نفسي حادٌّ يصيب الإنسان إثر شعوره بالأخطار التي تُحدق به، فيهز كيانه هزاً شديداً، وقد يَشُل حركته ويُخرجه عن وضعه الطبيعي حاملاً إياه على اتقاء تلك المخاطر ما استطاع إليه سبيلاً".[١]،وهو بهذا" حالة من الاضطراب الحاد الذى يشمل الفرد كله".[٢]

وقد صوّر التعبير القرآني هذا الانفعال تصويراً حيّاً في كثير من آياته على اختلاف المواقف التي يواجهها الإنسان، سواء في الدنيا أم في الآخرة، وقد عبر عن تلك الحالة هنا بالحرف الاهتزازي (زَ ل زَ ل).ووزنه (فَعْفَل)، والتضعيف فيه دالٌ على تكرار الفعل.

والزاي واللام أصل مطرد مُنقاس في المضاعف، وكذلك في كل زاي بعدها لام في الثلاثي، وهذا من عجيب هذا الأصل. تقول: زَل عن مكانه زَليلا وزَلا. والماء الزُلال: العذب؛ لأنه يَزِل عن ظهر اللسان لرِقته. والزَلة: الخطأ ؛ لأن المُخطئ زَل عن نهج الصواب، وتَزلزَلت الأرض: اضطربت، وزُلزلت زلزالا. والمَزلة: المكان الدَحض. ومن الباب الزُّلْزُلُ كالقَلق ؛ لأنه لا يستقر في مكانه".[٣]،وزَلزلهُ زَلزَلة وزَلزالاً حرّكه، فتزلزل، وتكرير حروفه تنبيه على تكرّر معنى الزَّلل فيه.[٤] ،فالزلزلة "الحركة العظيمة والإزعاج الشديد، ومنه زلزلة الأرض"[٥]

---

(١) تصوير الانفعالات النفسية في القرآن الكريم . ص ٣.

(٢) دكتور: محمد عثمان نجاتي .القرآن وعلم النفس. ص ٧٢.

(٣) مقاييس اللغة . مادة (ز.ل). ج٣ص ٤.

(٤) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز. ج٣ص ١٣٦.

(٥)النهاية في غريب الحديث والأثر ج٢ص٣٠٨.

وقد ظهر أثر الزلزلة النفسي وهو الخوف الشديد حين دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على المشركين يوم الأحزاب فقال:(اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الكِتَابِ، سَرِيعَ الحِسَابِ، اللَّهُمَّ اهْزِمِ الأَحْزَابَ، اللَّهُمَّ اهْزِمْهُمْ وَزَلْزِلْهُمْ)[1]،والزلزلة هنا كناية عن التخويف والتحذير أي اكسرهم وبَدِّد شَملهم ومَن ناصرهم واجعلهم غير مستقرين لا يثبتون عند اللقاء بل تطيش عقولهم وترتعد أقدامهم و"اجعل أمرهم مضطربا متقلقلا غير ثابت"[2]

وقد وردت مادة هذا الحرف الاهتزازي في القرآن الكريم فعلاً ومصدراً ست مرات: ثلاث منها في وصف موقف الشدة القاسية والذُعر البالغ في هول الحرب. وثلاثاً في وصف يوم الهول الأكبر، يوم القيامة في آية الحج ،وآية الزلزلة.

الأول: قوله سبحانه:﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾.[3]

وهذا مَثل ضربه الله للمؤمنين بالمؤمنين السابقين الذين تحمّلوا مسئولية الدعوة، فتعرّضوا للشدائد والمحن، وهم صابرون صامدون، دون انحراف عن الطريق السوي الذي رسمه الله لهم.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه . كتاب الجهاد والسير . باب الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة . رقم (٢٩٣٣)،ج ٤ص ٤٤. وأخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير . باب كراهة تمني لقاء العدو وباب استحباب الدعاء بالنصر عند لقاء العدو .ج ٣ص ١٣٦٣) حديث رقم(١٧٤٢).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر. ج٢ص٣٠٨.

(٣) سورة البقرة الآية: ٢١٤.

وقد وجه المفسرون أقوالهم في تفسير الآية وفق ما حوته اللفظة من المعاني اللغوية فقال الإمام الطبري (ت: ٣١٠هـ):"وزُلزلوا بالفتن وأذى الناس إياهم".[١] ويقول أبو حيان(ت: ٧٤٥هـ):" وزلزلوا أي أزعجوا إزعاجا شديدا بالزلزلة، وبُني الفعل للمفعول، وحُذف الفاعل للعلم به، أي: وزلزلهم أعداؤهم".[٢]

ويكشف الزمخشري(ت: ٥٣٨هـ)عن هذه الانفعالات النفسية فيقول في معنى هذه الآية:" ﴿مَّسَّتْهُمُ﴾ بيان للمَثل وهو استئناف، كأن قائلا قال: كيف كان ذلك المَثل؟ فقيل: مستهم البأساء وَزُلْزِلُوا وأزعجوا إزعاجا شديداً شبيها بالزلزلة بما أصابهم من الأهوال والأفزاع إلى الغاية التي قال الرسول ومَن معه فيها ﴿مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾أي بلغ بهم الضَجَر ولم يبق لهم صبر حتى قالوا ذلك. ومعناه طلب الصبر وتمنيه، واستطالة زمان الشِّدة. وفي هذه الغاية دليل على تناهِى الأمر في الشِّدة وتماديه في العِظَم، لأنّ الرسل لا يُقادَر قَدْر ثباتهم واصطبارهم وضبطهم لأنفسهم، فإذا لم يَبق لهم صبر حتى ضَجُّوا كان ذلك الغاية في الشدة التي لا مطمح وراءها".[٣]

ويُبين الإمام البقاعي(ت: ٨٨٥هـ) أثر تلك الزلزلة على نفوسهم فيقول:" زُلزلوا لأمور باطنة من خفايا القلوب ،وأُزعجوا بأنواع البلايا والرزايا والأهوال والأفزاع إزعاجاً شديداً شبيهاً بالزلزلة التي تكاد تهد الأرض وتدك الجبال".[٤]

---

(١) جامع البيان .ج٢٢ص ١٨٦.
(٢) البحر المحيط . ج٢ص٣٧٣.
(٣) تفسير الكشاف .ج١ص ٢٥٦..وانظر الصورة الفنية للمثل القرآني . د: محمد حسن على الصغير. ص ٣٤٩،دار الرشيد للنشر. بغداد . ط:أولى . ١٩٨١م.
(٤) أنظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. ج٣ص ٢٠٧.

الثاني: في قول تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ٩ إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ١٠ هُنَالِكَ ٱبۡتُلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَزُلۡزِلُواْ زِلۡزَالٗا شَدِيدٗا ﴾[1]

فمعنى زُلزلوا هنا أخيفوا وأُزعجوا، فالآية تُصور" شدة الخوف والهول والفزع ؛ لأن ذلك يسمَّى زلزالا ،وهو زلزال فزع وخوف، لا زلزال حركة الأرض"[2]

يقول ابن كثير(ت: ٧٧٤هـ):" يُخبر تعالى عن ذلك الحال، حين نزلت الأحزاب حول المدينة، والمسلمون محصورون في غاية الجهد والضيق، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم: أنهم ابتُلوا واختبروا وزلزلوا زلزالا شديدا"[3]

ويضيف البقاعي(ت: ٨٨٥هـ) فيقول: " زلزلوا وحرِّكوا ودُفِعوا وأُقلِقوا وأُزعجوا بما يرون من الأهوال بتضافر الأعداء مع الكثرة، وتطاير الأراجيف زلزالاً شديداً فثبتوا ".[4]

ويوضح الشيخ ابن عاشور(ت: ١٣٩٣هـ) صلة الحرف الاهتزازي بمعناه فيقول: " وزلزلوا أي أزعجوا أو اضطربوا، وإنما الذي اضطرب نظام معيشتهم، ...والزلزلة تحرك الجسم من مكانه بشدة، ومنه زلزال الأرض،

(١) سورة الأحزاب الآيات : ٩ – ١١.
(٢)أضواء البيان .ج٤ص ٢٦١.
(٣) تفسير ابن كثير.ج٦ص ٣٨٨.
(٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. ج١٥ص٣٠٣.

فوزن زَلزَل فَعْفَل، والتضعيف فيه دالٌ على تكرر الفعل كما قال تعالى: ﴿ فَكُبۡكِبُواْ فِيهَا ﴾ [١] وقالوا: لَمْلَم بالمكان إذا نزل به نزول إقامة".[٢]

واهتزاز هذا الحرف يتجلى من خلال صوت حرف(الزاي) الذى" يقوم أصلاً على الاهتزاز الصوتي كحرفي الذال والظاء ، لكنه يتميز عنهما بحِدَّة خاصة، لا يُخفِّف منها لثغ كما في الذال ، ولا فخامة وأناقة في اللفظ كما في الظاء. ليكون حرف الزاي بذلك أحَدَّ أصوات الحروف قاطبة. وعلى الرغم من بساطة صوت هذا الحرف الأسَلي ، فهو متنوع الخصائص. فحدَّة صوته توحي بالشدة والفعالية .وهذه الحدَّة التي تحاكي صوت حزِّ الحديد على الحديد ، تؤهِّله للتعبير عن الأصوات المماثلة في الطبيعة، ولما كان صوت هذا الحرف يستمد حِدَّته من ذبذباته الصوتية العالية ، فهو إذاَ لُفِظَ بشيء من الشدَّة أوحَى بالاضطراب والتحرّك والاهتزاز. أما إذا لفظ مخففا بعض الشيء ، فهو يوحي بالبعثرة والانزلاق وذلك "حذواً لمسموع الأصوات على محسوس الأحداث".[٣]

وفي تكرار صوتي الزاي واللام، وكلاهما صوت مجهور، وهما من الأصوات الصفيرية المجهورة، التي تُلقي بظلالها على المشهد المخيف لحدوث الزلزلة، وعليه فقد جاء اللفظ ﴿ وَزُلۡزِلُواْ زِلۡزَالٗا ﴾ مُوحياً بحركتهم الشديدة وما رافقها من اضطراب وانفعال، فالزلزلة اهتزاز يُنذر بخطر قوي يدمر بسرعة كل ما يهتز.

(١) سورة الشعراء من الآية: ٩٤.
(٢) التحرير والتنوير. ج٢ص ٣١٦.
(٣) خصائص الحروف العربية ومعانيها. ص ١٣٧.

وبهذا يُصور القرآن الخوفَ الذي هزَّ قلوب المؤمنين هزّاً عنيفاً يوم أحاطت بهم الأحزاب في غزوة الخندق ،ويستمد التصوير إيحاءاته الفنية من رسم ملامح الصورة الحسية والصورة النفسية مقترنتين، فأتت صورة المجيء المُطبِق على المؤمنين في وصف هيئة تُجسِّمُه ﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ ﴾ لأن هيئة المجيء من فوق ومن تحت أدخل في الحسية من الوصف بالإحاطة، ثم التقت الصورتان في رِبقة واحدة ﴿وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ ﴾ وهو " تعبير مصوِّر لحالة الخوف والكُربة والضيق، يرسمها بملامح الوجوه وحركات القلوب"[١] ، ويركز النص في قوله ﴿وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ....وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴾ على الانفعالات الموّارة التي عصفت بالمؤمنين عصفاً حتّى ظنّ بعضهم أن الله تخلّى عنهم وتركهم فريسة سهلة للأعداء، وكأن الألِف في (الظنونا) بانطلاقها إلى العلو تعمل على امتداد الظنون السيئة بالله إلى أوجها وبلوغها الغاية في الشدة. وتشتمل لفظة (زُلزلوا) على اضطرابات نفسية متتابعة لا تنقطع، وذلك من خلال قوة الاستعارة التي شَبهت الاضطراب النفسي الذي أصابهم بالزلزال، وهو حدث كوني عظيم فيه الارتجاج والانشقاق لمظاهر الطبيعة.[٢]

ونلمسُ الحركة النفسية الشديدة في هذه الآية فقد" استعار التعبير القرآني للاضطراب النفسي الشديد الذي أصاب الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين الأوائل لفظ (زُلزِلوا) الدالّ على الهزّات الأرضية المتتابعة

(١) الكشاف للزمخشري. ج ٣ص ١٤٢.

(٢) تصوير الانفعالات النفسية في القرآن الكريم . ص ٥.

في أصلها الحسي، لكنها تنمُّ هنا على هزّاتٍ نفسية عنيفة كادت تُزعزع المؤمنين وتعصف بهم، ولعلَّ في تكرار الصوتين (الزاي واللام) إيحاءً بتكرار هذا الزلزال النفسي اعتماداً على ما ذهب إليه علماء الصرف من أن تكرار الأصوات يدلّ على تكرار الحدث، فالملمح الجمالي للحركة يُبرز ما يحققه التعبير الاستعاري من صورة الزلزال الحقيقي وما يرافقه من اضطراب وشدة، وانعكس هنا على حركة نفوس المؤمنين فيما اعتراهم من الذعر والخوف، ولا شكَّ في أنّ حركة الزلزال الحقيقي تساعد المتلقي في الانتقال من تخييل رقعة مكانية واسعة تشمل الكون كلَّه إلى تخييل رقعة مكانية ضيقة تنحصر داخل النفس الانسانية، وهذا بدوره يعمل على تخيُّل تضاد بين السعة والضيق من جهة، وبين المظهر المادي والانفعال النفسي من جهة أخرى".[١]

خامساً: عذاب المشركين في النار(سَلْ سَل ـ كَبْ كَبْ).

وردت مجموعة من الحروف الاهتزازية متحدثة عن أنواع من عذاب المشركين في النار، ومن ذلك:

أ: وَثاقُ الكافر[٢] وشدة عذابه في النار.

وقد عبَّر عن هذا المعنى الحرف الاهتزازي (سَ لْ سَ لْ)

(١)جماليات الحركة في التعبير القرآني .ص ٢٠.

(٢)أوْثَقَهُ في الوَثاقِ، أي شدَّهُ. الصحاح، مادة(و . ث . ق).ج٤ص ١٥٦٣.،ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ﴾[سورة الفجر الآية:٢٦].وقوله سبحانه:﴿فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ﴾ [سورة محمد من الآية:٤].

فالسين واللام أصل واحد، وهو مد الشيء في رفق وخفاء، ثم يُحمل عليه. ومن ذلك السِلسِلة، سُميت بذلك لأنها ممتدة في اتصال. ومنه تَسلسَل الماء في الحلق، إذا جرى. وماء سَلسل وسَلسال وسُلاسل. والسِلسلة اتصال الشيء بالشيء، وبذلك سميت سلسلة الحديد، وسلسلة البرق المستطيلة في عرض السحاب" (١)

والسلاسل جمع سلسلة قال الراغب:" تَسَلْسَلَ الشيء اضطرب، كأنه تصوّر منه تَسَلُّلٌ متردّد، فردّد لفظه تنبيها على تردّد معناه، ومنه السِّلْسِلَةُ"(٢)والسلسلة: مجموع حِلَق غليظة من حديد متصل بعضها ببعض(٣)

وقد ورد هذا الحرف الاهتزازي في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع.

الأول: في قوله تعالى:﴿ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴾ (٤)

الثاني: قوله تعالى:﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴾(٥)

الثالث: قوله عز وجل:﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۠ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴾ (٦)

---

(١)معجم مقاييس اللغة . مادة(س. ل). ج ٣ص ٥٩.
(٢)المفردات في غريب القرآن ص: ٤١٨.
(٣)التحرير والتنوير.ج ٢٤ ص ٢٠٢.
(٤) سورة غافر الآيات : ٧٠. ٧٢.
(٥) سورة الحاقة الآيات: ٣٠. ٣٢.
(٦) سورة الإنسان الآية: ٤.

والسلاسل والأغلال، والأصفاد وغيرها مما ذكره القرآن هي" من ألوان النَكال لأهل النار، الذين كانوا يجادلون في آيات الله ويُكذِّبون بالقرآن الكريم، فهؤلاء والذين سبقوهم من المكذبين، سوف يعلمون ما ينتظرهم من بأس الله وعذابه، وسوف يرون ما أنذرتهم به رسلهم من عذاب، فلم تغنهم النُذر، وسوف يعلمون الحق الذي أنكروه، حين يساقون إلى جهنم يُسحبون على وجوههم، والأغلال في أعناقهم، والسلاسل في أيديهم وأرجلهم"(١)

وهذا المعنى بيَّنه تعالى في مواضع أخر منها قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾(٢) وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(٣) وقوله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ﴾(٤) ،وبهذه الأغلال يُقرن كل كافر مع قرينه ،قال تعالى: ﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾(٥) والأصفاد: هي الأغلال والقيود، واحدها: صَفْد بالسكون، وصَفَد بالتحريك(٦) ،وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾(٧) ، فقد "بين تعالى في هذه الآيات الكريمة أن المجرمين وهم الكفار يُقرَّنون يوم القيامة في الأصفاد، وهى

(١) أنظر: التفسير القرآني للقرآن .ج ١٢ ص ١٢٦٧.
(٢) سورة الرعد الآية: ٥.
(٣) سورة سبأ الآية: ٣٣.
(٤) سورة الفجر الآيتان: ٢٥، ٢٦.
(٥) سورة إبراهيم الآية: ٤٩.
(٦)النهاية في غريب الحديث والأثر.ج ٢ ص ٣٨٩.
(٧) سورة الفرقان الآية: ١٣.

القيود. والأظهر أن معنى مقَّرنين: أن الكفار يُقرن بعضهم إلى بعض في الأصفاد والسلاسل، وقال بعض أهل العلم: كل كافر يقرن هو وشيطانه، قال تعالى:﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيۡتَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَ بُعۡدَ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ فَبِئۡسَ ٱلۡقَرِينُ ﴾ [1] ونحو ذلك من الآيات".[2]

وحرف السين هو أحد الحروف الصفيرية ، صوته المتماسك النقي يوحي بإحساس لمسيٍّ ،وبإحساس بصري من الانزلاق والامتداد، وبإحساس سمعي هو أقرب للصفير. وليس في صوته ما يوحي بأي إحساس ذوقي أو شمي أو مشاعر إنسانية، ومصادره تدل معانيها على التحرك والمسير بما يتوافق مع خاصية الانزلاق في صوته.[3]

أما حرف اللام فهو مجهور متوسط الشدة. وصوت هذا الحرف يوحي بمزيج من الليونة والمرونة والتماسك والالتصاق. وهذه الخصائص الإيحائية لمسية صِرفة. ولكن يُلاحظ أن صوت هذا الحرف يتشكل على مرحلتين اثنتين:

الأولى: بالتصاق اللسان بأول سقف الحنك قريباً من اللثة العليا حبساً للنفَس.

والثانية: بانفكاك اللسان عن سقف الحنك، وانفلات النفَس خارج الفم.

وهكذا فإن طريقة النطق بصوت (اللام) تماثل الأحداث التي يتم فيها الالتصاق مما يجيز تصنيفها في فئة الحروف الإيمائية التمثيلية، وهي هنا لمسية."[4]

---

(١) سورة الزخرف الآية: ٣٨.

(٢)أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن .ج ٢ ص ٢٥٠، ج٦ص ٢٧.

(٣) أنظر: خصائص الحروف العربية .ص١٠٩.

(٤) خصائص الحروف العربية. ص ٧٩.

كما يوحي انحراف حرف اللام بالخروج عن جادة الصواب ، حيث تدل السين واللام مع ماثلتها في اللغة على خروج الشيء يقول ابن فارس:" السين واللام أصل واحد ، وهو مد الشيء في رفق وخفاء".[١]فلفظ السلسلة إذن يوحي بمعنى التتابع والتردد انطلاقا من تتابع حلقاتها، وهو ما يعكسه تكرر المقطع الصوتي والذي يضم صوتي السين واللام.

والملاحظ أن لفظ (سَل سَل) المكرر جَمع بين الخفاء والانحراف ثم الخروج بصورة متدرجة ومتكررة وهو ما يتناسب مع سياق الآية الكريمة ، حيث لا يتعظ الكفار ويتمادوا في جدالهم وضلالهم مهما تقلبوا في الخير والمتاع ، فإنما مصيرهم النار وقد توعدهم الله بعقاب يستحق العجب والإعجاب، في مشهد عنيف من العذاب والسحب والجر، "وهو يجمع بين الإيلام والإهانة".[٢] فمشهد الأغلال في الأعناق والسلاسل في الأقدام ، ومشهد السحب إلى جهنم والسجر في النار ثم التأنيب والتقريع، فمهما طال ضلالهم فلابد أن يُظهر الله الحق ويؤاخذهم بما كسبوا.

وقد وجَّه المفسرون أقوالهم في تفسير الآية وفق ما حوته اللفظة من معان لغوية يقول الشيخ ابن عاشور(ت:١٣٩٣هـ):" وتفرع على تكذيبهم وعيدُهم بما سيلقونه يوم القيامة فقيل فسوف يعلمون، أي سوف يجدون العذاب الذي كانوا يجادلون فيه فيَعلمونه. وعبَّر عن وجدانهم العذاب بالعِلم به بمناسبة استمرارهم على جهلهم بالبعث وتظاهرهم بعدم فهم ما يقوله الرسول صلى الله عليه وسلم فأُنذِروا بأن ما جهلوه سيتحققونه يومئذ كقول الناس: ستعرف منه ما تجهل، وأول ما يَعلمونه

(١) معجم مقاييس اللغة . مادة(س. ل). ج ٣ص ٥٩.
(٢)التحرير والتنوير.ج ٢٤ ص ٢٠٣.

حين تكون الأغلال في أعناقهم أنهم يتحققون وقوع البعث. والأغلال: جمع غُل، بضم العين، وهو حلقة من قِدٍّ[١] أو حديد تحيط بالعنق تناط بها سلسلة من حديد، أو سَير من قِدٍّ يُمسَك بها المجرم والأسير. والسلاسل: جمع سلسلة بكسر السينين وهي مجموع حلق غليظة من حديد متصل بعضها ببعض".[٢]

فرحلة الكفار وحياتهم الدنيا والأخرى كلها توحي بها لفظة السلاسل التي جاءت جمعا للتهويل، فالسين بهمسها ورخاوتها وطولها تعبر عن سوء أعمالهم وهوانها طيلة حياتهم ، واللام لظهور الحق ووجوب العقاب نظرا لانحرافهم عند الصراط المستقيم ،والتوسط فيها يوحي بالعدل والقسط فلا يظلم ربك أحدا.

ب: قذف المشركين وتدهورهم في النار.

وقد عبر عن هذه الدلالة الحرف الاهتزازي(كَب كَب)

وهو مضاعف من كَبَّ هذا قول الجمهور وهو الصحيح لأن معناها واحد، والتضعيف في الفعل بيِّن مثل صَر وصَرصَر وغير ذلك ".[٣]

والكاف والباء أصل صحيح يدل على جَمع وتجمع، لا يشذ منه شيء . يقال لما تجمَّع من الرمل كُبَابٌ، ومنه: كَببت الشيء لوجهه أكبه كبا. وأكبَّ فلان على الأمر يفعله، وتكبَبَت الإبل، إذا صُرعت من هزال أو داء. وَالْكَبْكَبَةُ: أن يتدهور الشيء إذا أُلقي في هوة حتى يستقر، فكأنه

(١)القِد، بالكسر: سَير يقُدُّ من جلد غير مدبوغ. الصِحاح. مادة(ك .ب). ج ٢ص ٥٢٢.

(٢)التحرير والتنوير.ج ٢٤ ص ٢٠١.

(٣) المحرر الوجيز.ج٤ص ٢٣٦.

تردد في الكَب. [١]،كبه الله أي ألقاه يقال في اللازم أكب وفي المتعدي كَبَّ تقول: أكب عليه ومنه أكببنا على الغنائم"[٢]

وهذه اللفظة من فرائد القرآن الكريم حيث وردت مرّة واحدة في قوله تعالى: ﴿ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾.[٣]

وقد جاءت أقوال المفسرين في هذه الآية وفق ما حوته اللفظة من معان لغوية، فذكروا في معنى ﴿كُبْكِبُواْ﴾ أربعة أوجه:

أحدها: معناه جُمعوا في النار ، قاله ابن عباس. الثاني: طُرحوا فيها على وجوههم ، قاله ابن زيد ، وقطرب. الثالث: نُكسوا فيها على رؤوسهم ، قاله السدي ، وابن قتيبة. الرابع: قُلب بعضهم على بعض ، قاله اليزيدي. [٤]

وهذا التصوير (للكَبكَبة) فسرته آيات أخرى تحدثت عن خيبة الكفار يوم القيامة [٥] ،ومن خيبتهم إلقاؤهم في النار قال تعالى:﴿ أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴾[٦]، وقوله تعالى:﴿ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَآ

---

(١)مقاييس اللغة . مادة(ك .ب). ج ٥ص ١٢٤. ،بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز .ج ٤ص٣٢٠.

(٢) فتح الباري لابن حجر.ج ١ص ١٧٧.

(٣) سورة الشعراء الآية: ٩١. ٩٥.

(٤) تفسير الماوردي .ج ٤ص ١٧٨.

(٥) يدل عليه قوله تعالى:﴿ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ ﴾ سورة إبراهيم الآيتان: ١٥، ١٦.

(٦) سورة ق الآيات: ٢٤ - ٢٦

أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴾[1] ،وقوله تعالى:﴿ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝٦ إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ﴾[2]،وقوله تبارك وتعالى:﴿ قَالَ ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ۝٣٨ ﴾[3].

فأصل ﴿ادراكوا﴾ تداركوا، ومعناه تلاحقوا[4]،فالفعل يدل على الحركة والاستمرار ،وقد قام الإدغام بإعطاء ذلك الفعل دلالة التجمع مع سرعة الحركة، ولمَّا جاء الفعل على هذه الصيغة المدغمة صَوَّر الحالة التي تلاحقوا فيها بعضهم إثر بعض على وجه السرعة ،ويؤكد ذلك أن الموقف الذي هم فيه موقف حشر وحساب وشدة، فجاءت شدة الإدغام لتحاكي شدة الموقف.

وبتتبع مادة (كبّ) في القرآن الكريم نجدها وردت في مواضع بدون تكرار ، منها ما جاء في قوله تعالى:﴿ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ ﴾[5] ،وقوله تعالى:﴿ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[6] والظاهر أن المعنى الذي وردت فيه في الموضعين يصف

(١) سورة الفرقان الآيتان: ١٢، ١٣.
(٢) سورة الملك الآيتان: ٦، ٧.
(٣)سورة الأعراف الآية: ٣٨.
(٤) أنظر: اللباب، لابن عادل الدمشقي .ج ٩ ص ١٠٨.
(٥) سورة النمل من الآية: ٩٠.
(٦) سورة الملك الآية: ٢٢.

مشهدا من مشاهد القيامة لا يتطلب إثارة المبالغة في وصف أحوالهم فلذلك خلت من التكرير الذي تميز به لفظ (كب كب).

ويوضح الزمخشري(ت: ٥٣٨هـ)هذا المعنى فيقول:" فإن قلت: ما معنى يَمْشِي مُكِبًّا عَلى وَجْهِهِ؟ وكيف قابل يَمْشِي سَوِيًّا عَلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ؟ قلت: معناه: يمشى معتسفا في مكان معتاد غير مستوٍ فيه انخفاض وارتفاع، فيعثر كل ساعة فيخر على وجهه منكبا، فحاله نقيض حال من يمشى سويا، أي: قائما سالما من العثور والخرور. أو مستوِيَ الجهة قليل الانحراف خلاف المعتَسف الذي ينحرف هكذا وهكذا على طريق مستو. ويجوز أن يراد الأعمى الذي لا يهتدى إلى الطريق فيعتسف، فلا يزال ينكب على وجهه، وأنه ليس كالرجل السوي الصحيح البصر الماشي في الطريق المهتدى له، وهو مثل للمؤمن والكافر".[١]

وبهذا بان أن المعنى الذي وردت فيه (كَ.بَّ)في الموضعين لا يتطلب إثارة المبالغة في وصف أحوالهم فلذلك خلت من التكرير الذي يفيد المبالغة.

أما هنا فقد جاء التكرير في اللفظ محاكيا لدلالة الشِّدة والفزع فيه[٢]، فقد "جُعِلَ التكرير في اللفظ دليلا على التكرير في المعنى كأنه إذا ألقي في جهنم ينكب مرة بعد مرة حتى يستقر في قعرها"[٣]، أما تكرار الحرف كُبكِبوا فقد جاء التكرير في اللفظ محاكيا لدلالة الشدة والفزع فيه.

(١) الكشاف عن حقائق التنزيل .ج٤ص ٥٨٢.
(٢) ينظر: التبيان في علم المعاني والبديع والبيان، شرف الدين الطيبي، ٤٧ ٤.
(٣) الكشاف. ج ٣ ص ٣٦٨، وانظر زاد المسير لابن الجوزي. ج ٦ص١٣٢.

وقد نبه الزمخشري(ت: ٥٣٨هـ) إلى الدلالة البلاغية لهذا الحرف فقال:" الكبكبة: تكرير الكَب، جَعل التكرير في اللفظ دليلاً على التكرير في المعنى، كأنه إذا أُلقى في جهنم ينكب مرة بعد مرة حتى يستقرّ في قعرها، اللهم أجرنا منها يا خير مستجار".(١)

ويلفت البقاعي(ت: ٨٨٥هـ)النظر إلى أثر تكرار الحرف على المعنى فيقول:" لما كانت الآية في سياق إظهار قدرته تعالى وعجز الكفار بقذفهم في النار قال: ﴿فَكُبكِبُوا﴾ قُلبوا وصُرعوا ورُموا، قلباً عظيماً مكرراً سريعاً مِن كل مَن أمَرَهُ الله بقَلبهم بعد هذا السؤال، إظهاراً لعجزهم بالفعل حتى عن الجواب قبل الجواب ﴿فيها﴾ أي في مهواة الجحيم قلباً عنيفاً مضاعفاً كثيراً بعضهم في إثر بعض ﴿هم﴾ أي الأصنام وما شابهها مما عُبد من الشياطين ونحوهم والغاوون الذي ضلوا بهم وجنود إبليس من شياطين الإنس والجن أجمعون".(٢)

وقد استشعر الشيخ ابن عاشور(ت:١٣٩٣هـ) أثر تضعيف الحرف على زيادة المعنى فقال: "معنى فَكُبكِبُوا كُبوا فيها كَبا بعد كب فإنَّ كُبكبوا مضاعف كُبُّوا بالتكرير وتكرير اللفظ مفيد تكرير المعنى مثل: كفكف الدمع، ونظيره في الأسماء: جيش لمْلَم، أي كثير، مبالغة في اللَّم، وذلك لأن له فعلا مرادفا له مشتملا على حروفه ولا تضعيف فيه فكان التضعيف في مرادفه لأجل الدلالة على الزيادة في معنى الفعل".(٣)

(١)الكشاف .ج ٣ص ٣٢٢.
(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور .ج١٤ص ٥٨.
(٣)التحرير والتنوير.ج١٩ص ١٥٢.

فمادة (كبّ) تعني إسقاط الشيء على وجهه. فلا إنقاذ ولا خلاص ولا إخراج ، والوجه أشرف مواضع الجسد ، وهو يهوي بشدة إلى قعر جهنم[١] فكيف بباقي البدن. وهذه الصيغة قد حمَّلت اللفظَ في تكرار صوتها ، زيادة معنى التدهور كما بينه الزمخشري بقوله : "إنّ الزيادة في البناء لزيادة المعنى "[٢] . وقول البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ) "والكبكبة تكرير الكب لتكرير معناه كأن من أُلقِي في النار يَنكب مرة بعد أخرى حتى يستقر في قعرها".[٣]

ويزداد معنى كبكبة المشركين في النار وضوحا ،بما ورد في الحديث عن بُعد قعر جهنم . أعاذنا الله منها . فَعنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رضى الله عنه قَالَ: (كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذْ سَمِعَ وَجْبَةً، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: تَدْرُونَ مَا هَذَا؟ قَالَ: قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: هَذَا حَجَرٌ رُمِيَ بِهِ فِي النَّارِ مُنْذُ سَبْعِينَ خَرِيفًا، فَهُوَ يَهْوِي فِي النَّارِ الْآنَ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَعْرِهَا).[٤]

وهنا نجد الفعل (كَبكَب) قد اشتمل على تكرار الحرفين (كَب) مما يوحي بتكرر كَبِّ أهل النار فيها وتواليهم في دركات الجحيم، وهذا يأتي منسجمًا تمام الانسجام مع سياق الوعيد والتهديد لهؤلاء الغاوين الضالين.

---

(١)النهاية في غريب الحديث والأثر.ج٥ص ١٥٤.

(٢)الكشاف . ج١ص ٦.

(٣)أنوار التنزيل وأسرار التأويل . ج٤ص ١٤٣

(٤)أخرجه مسلم في صحيحه . كتاب صفة القيامة والجنة والنار. باب في شدة حر نار جهنم وبُعد قعرها وما تأخذ من المعذَّبين. حديث (٢٨٤٤).ج ٤ص ٢١٨٤. ، وأخرجه أحمد مسنده .ج١٤ص ٤٣٣.

ولعل الذي أضفى على هذا اللفظ نغماً صارما وشدة في الدلالة وقدرة على التصوير صوتَي (الكاف والباء) فكلاهما صوت انفجاري شديد، فالباء:" تخرُجُ مِن المخرج الثَّاني عشر من مخارج الفم ، مِمَّا بَيْنَ الشفتين مع تلاصقهما. وهو حرف قوي (لأنه مجهورٌ شَديدٌ) ، كالميم، فالباء مؤاخيةٌ لِلميم ، لأن مخرجهما واحد، ولأنهما مجهورتان شديدتان".[1]

فضلا على أنهما تكررا مرتين في اللفظ نفسه ما أعطاه شحنة انفعالية مضاعفة، ومن ثم جعلا اللفظ يكون منسجما مع المعنى الذي جاء به، وإن هذا الانسجام بين اللفظ والمعنى أعطى للنص الكريم كاملا بعدا جماليا محببا لدى المتلقي، وقدرة هائلة على التأثير فيه.

مما يبين أن حال هؤلاء المشركين في تدهور دائم بين القيام والسقوط على وجوههم أو مناخرهم مرة بعد أخرى لا يمكن ان يُستشعَر عند السامع أو يُصوَّر في ذهنه بهذا التمكن بغير هذا الحرف الاهتزازي (كب كب)، "ولا أحسبك إلا مُستشعرا عنف لفظة الكبكبة ،حتى لتكاد تتصور أولئك المجرمين يُكبون على وجوههم أو على مناخرهم، ويُلقون إلقاء المهمَلين، فلا يقيم أحد لهم وزنا! فإن يَكُ هذا كله في اللفظة المفردة، تُعبِّر مستقلة عن لوحة كاملة، فكيف بالآية التي تتناسق في جوها الكلمات، أو في السورة التي تنسجم حول فكرتها جميع الآيات!.[2]

(١)الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة لمكي بن أبي طالب ص٢٢٩. ، تحقيق د. أحمد حسن فرحات، دار الكتب العربية.

(٢) أنظر: مباحث في علوم القرآن . ص ٣٣٦.

سادساً: تقرير البعث (زَل زَل ـ دكًا دكا ـ صَفْ صَفْ ـ صَفًا صَفًا).

وردت مجموعة من الحروف الاهتزازية متحدثة عن تقرير حقيقة البعث يوم القيامة، ومن مشاهدها زلزلة الأرض ،ودكُّها، وتسويتها، ومجيء الملائكة صفاً صفا.

أ: زلزلة الأرض[1].

زلزال الأرض العظيم أحد أشراط الساعة ، قيل :يكون في الدنيا قبل يوم القيامة، هذا قول الجمهور، وقيل: إنه في القيامة: إما بنفخ الصور للبعث، أو أنه عند القضاء بين الخلق، والفرق بين الزَلَل والزلزلة يتمثّل في تكرير الفعل، فالزلل إنما هو مرة واحدة كما في قوله تعالى:﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [2] ، وهو بمعنى أذهبهما عنها، وتكرير الحروف تنبيه على تكرير معنى الزلل.،وقد عبَّر عن هذا المعنى الحرف الاهتزازي (زَل زَل) ووزنه (فَعفَل)، والتضعيف فيه دالٌ على تكرار الفعل.

والزاي واللام أصل مطرد منقاس في المضاعف، وكذلك في كل زاي بعدها لام في الثلاثي. وهذا من عجيب هذا الأصل. تقول: زَلَّ عن مكانه زَليلاً وزلا. والماء الزُلال: العذب؛ لأنه يَزِل عن ظهر اللسان لرقته. والزَلَّة:

---

(١) يفسِّرُ العلماءُ الزلزلةَ بأنّها :حركةٌ في باطنِ الأرضِ، ينشأُ عنها ضغطٌ هائلٌ، لا تحتمِلُه قشرةُ الأرضِ، عندئذٍ تتصدَّعُ هذه القشرةُ، وهذا التصدُّعُ في قشرةِ الأرضِ هو الزلزالُ الذي نستمعُ إلى أخبارِه مِن حينٍ إلى آخرَ، عِلْماً أنَّ هذه القشرةَ يزيدُ سَمكُها على تسعينَ كيلو متراً، وهي مِن صخورِ البازلت، وهذه الصخورُ مِن أقْسَى أنواعِ الصخورِ، ومع ذلك تتصدّعُ، فهذا الضغطُ من باطنِ الأرض الذي يصدِّعُ قشرةً من البازلت يزيدُ سمكُها على تسعينَ كيلو متراً. فهذا طرفٌ من معنى قوله تعالى: {إِنَّ اللهَ هُوَ الرزاق ذُو القوة المَتين}[الذاريات: ٥٨] . موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة .ج٢ص ٧٤.

(٢) سورة البقرة من الآية:٣٦.

الخطأ ؛ لأن المُخطئ زل عن نَهج الصواب ،وتزلزلت الأرض: اضطربت، وزُلزلت زلزالا. والمَزلة: المكان الدحْض. ومن الباب الزُّلْزُلُ كالقَلق ؛ لأنه لا يستقر في مكانه".(١)

والمتأمل لآيات القرآن الكريم يجد هذا الحرف قد ورد غير مكرر في أربعة مواضع منها: قوله تعالى:﴿ فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ﴾(٢) ،وقوله سبحانه:﴿ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا ﴾(٣) ،وقوله عز وجل:﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾(٤)﴿ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ ﴾(٥).

ومن البيِّن أن حرف (زل) غير المكرر هنا يدل على "الحركة المعتادة، أما زَلزل فللحركة الشديدة العظيمة، لما فيه من معنى التكرير، وهو كالصَرصَر في الريح".(٦)

وقد ورد هذا الحرف الاهتزازي (زَل زَل) للدلالة على حقيقة البعث في موضعين:

الأول :قوله تعالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ۝١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴾.(٧)

---

(١) مقاييس اللغة . مادة(ز. ل). ج٣ص ٤.
(٢) سورة البقرة الآية: ٢٠٩.
(٣) سورة النحل الآية: ٩٤.
(٤) سورة البقرة الآية: ٣٦.
(٥) سورة آل عمران الآية: ١٥٥.
(٦) مفاتيح الغيب .ج٣٢ص ٢٥٤.
(٧) سورة الحج الآيتان: ٢.١.

في هذه الآية الكريمة أمر عز وجل الناس بتقواه؛ بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، وبين لهم أن زلزلة الساعة شيء عظيم، تَذهل بسببه المراضع عن أولادها، وتضع بسببه الحوامل أحمالها، من شدة الهول والفزع، وأن الناس يُرون فيه كأنهم سكارى من شدة الخوف، وما هم بسكارى من شرب الخمر، ولكن عذابه شديد.

وقد بين القرآن الكريم هذا المشهد في مواضع منها قوله تعالى: ﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً﴾[١]،وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ۝٤ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝٥ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا﴾[٢] ، وقوله سبحانه: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ﴾[٣] والرَّجْفَةُ: الزلزلةُ الشديدةُ التي يَنَالُ الإنسانَ معها اهتزاز وارتعاد واضطراب، وقوله عز وجل: ﴿ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾[٤] وغير ذلك من الآيات التي تصف أهوال يوم القيامة.[٥]

وقد ورد هذا الحرف الاهتزازي في سورة الحج ،وفي هذه المناسك مشهد مهيب يُذكِّر الإنسان بمشاهد القيامة وما فيها من الزحام في الطواف والسعي، وقد أوحت كلمة الزلزلة من خلال تكرار هذين الحرفين بطريقة موازية بوظيفة نفسية تُشعر المتلقي بالمشهد المروع الذي يعتري الناس فجأة؛ لأن فاعلية هذه الكلمة تظهر بوضوح من خلال الجرس الموسيقي لها فتوحي بهزة عنيفة للقلوب الغافلة، إنه حقاً مشهد تنفطر

(١) سورة الحاقة الآية: ١٤.
(٢) سورة الواقعة الآيات: ٤.٦.
(٣) سورة النازعات الآيتان:٦ . ٧.
(٤) سورة الأعراف من الآية: ١٨٧.
(٥) راجع للدكتور: فاضل صالح السامرائي . بلاغة الكلمة في التعبير القرآني . ص ١١١.شركة العاتك للطباعة القاهرة ،ط:الثانية،١٤٢٧هـ.٢٠٠٦م.

لـه القلوب وتهتز منه الأركان ،إن لكل لفظ صوتاً ربما أشبه موقعه من الكلام ومن طبيعة المعنى الذي هو فيه والذي تساق لـه الجملة.

وقد صوّر التعبير القرآني هذا الانفعال تصويراً حيّاً من خلال رسم حالات حساسة تمس كيان الإنسان ووجدانه، حيث لا تذهل المرضعة عن وليدها الذي ألقمته ثديها، ولا تضع الحامل حملها من غير تمام، ولا يفقد الناس عقولهم إلاّ إذا عَظُم الخطب واشتدَّ الأمرُ، ممّا لا يدع مجالاً للالتفات إلى شيءٍ غيرَ نفسه، فالتصوير قائم على مشهد حافل بكل مرضعة ذاهلة عمّا أرضعت، تنظر ولا ترى، وتتحرك ولا تعي، وبكل حامل تُسقط حملها للهول المروّع ينتابها، وبالناس سكارى وما هم بسكارى، يتبدى السُكر في نظراتهم الذاهلة، وفي خطواتهم المترنحة، مشهد مزدحم بذلك الحشد المتماوج، تكاد العين تبصره بينما الخيال يتملاه، والهول الشاخص يذهله، فلا يكاد يبلغ أقصاه .

وقد أسهمت دقة اختيار المفردات وتميز الأنساق الأسلوبية في تصوير أبعاد النص واستحضاره، إذ إن القرآن عبَّر ب(المُرضِعة) بدلاً من المرضع ، لأن "المرضعة هي التي في حال الإرضاع ملقمة ثديَها الصبيَّ، والمرضع التي شأنها أن ترضع وإن لم تباشر الإرضاع في حال وصفها به، فقيل: مرضعة ليدل على أن ذلك الهول إذا فوجئت به هذه وقد ألقمت الرضيع ثديها نزعته عن فيه لما يلحقها من الدهشة.

وغير خاف ما يقوم به التعبير بالأفعال المضارعة (ترونها، تذهل، تضع، ترى) من دور في تقريب صورة الخوف إلى الأذهان لأن صيغة الفعل المضارع "أقدر الصيغ على تصوير الأحداث لكونها تحضر مشهد حدوثها وكأنّ العين تراها وهي تقع، كما يلحظ في توظيف لفظة (كل)

المكرّرة تعميمٌ يُستشَف منه تغطية الخوف لكل مرضعة وحاملة، فلا تشذ عنه واحدة من بين إنسان أو حيوان يشعر بغريزة الأمومة على اختلاف قوتها أو ضعفها.[١]

الثاني: قوله سبحانه: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝٣ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾[٢]

وسورة الزلزلة من أكثر سور القرآن الكريم تأثيراً في القلوب ، ومن أشدها تحذيرا وتنبيها للنفس البشرية بما تسوقه من صور لمشهد عظيم من مشاهد يوم القيامة التي تتنوع وتتعدد. مبشرة الأتقياء بنعيم مقيم ومحذرة الأشقياء من عذاب أليم. مؤكدة أن عمل الخير أو الشر مهما تضاءل سيُجزى به الإنسان وأن الحساب والوزن والجزاء لن يترك صغيرة ولا كبيرة إلا ويحصيها .

وفى هذا السياق ورد الحرف الاهتزازي(زَل زَل) ليُصور" إرهاصات يوم البعث والنشور، حيث تُزلزل الأرض وتضطرب، وهذا الزلزال الذي سيقع لها يوم البعث، هو زلزال خاص بهذا اليوم، ولهذا أضيف إليها في قوله تعالى ﴿زِلْزَالَهَا﴾ وكأنه هو الزلزال الوحيد الذي تُزلزَله، أما ما حَدث من زلازل للأرض قبل هذا الزلزال، فلا وزن له، إذا نُظر له من خلال هذا

(١) تصوير الانفعالات النفسية في القرآن الكريم .ص: ٣.
(٢) سورة الزلزلة الآيات: ١. ٥.

الزلزال العظيم. وفى هذا اليوم تُخرج الأرض أثقالها، أي ما حملت في بطنها من أموات، فكأنها تلدهم من جديد"[١]

وقد تكرر حرف الزاي واللام في هذه الآية أربع مرات .وقد وجه المفسرون أقوالهم في تفسير الآية وفق ما حوته اللفظة من معان في أصلها اللغوي، فقالوا في معنى﴿زِلزالها﴾ وجهان:

أحدهما: أنها غاية زلازلها المتوقعة. فالزلزلة: "الحركة الشديدة بسرعة، ويدل لذلك فقه اللغة من وجهين: الأول: تكرار الحروف، أو تكرار المقطع الواحد، مثل صَلصَل وقَلقَل وزَقزَق، فهذا التكرار يدل على الحركة.

الثاني: وزن فَعَّل بالتضعيف كَغَلَّقَ وَكَسَّرَ وَفَتَّحَ، فقد اجتمع في هذه الكلمة تكرار المقطع وتضعيف الوزن. ولذا، فإن الزلزال أشد ما شهد العالم من حركة، وقد شوهدت حركات زلزال في أقل من ربع الثانية، دمر مدنا وحطم قصورا[٢]."[٣]

ولأن زلزالها في غاية الشدة جاء وصفه بالشيء العظيم في قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ﴾[٤]،ويدل

(١)انظر: التفسير القرآني للقرآن .ج١٦ص ١٦٥.

(٢) يبين العلماءِ شدة الزلازِل وآثارها التدميرية فيذكرون أن:" هناك زلزالاً حَدَثَ في الصينِ في عامِ (١٥٥٦م) ، أودَى بحياةِ ثمانمائة وثلاثين ألفاً في ثوانٍ، وفي عام (١٧٣٧) حدثَ زلزالٌ في الهند، أودَى بحياةِ مئة وثمانين ألفاً، وفي عام (١٩٢٣م) حدث زلزال في اليابان أودى بحياةِ مئة ألف، وفي عام (١٩٧٦م) حدث زلزالٌ في الصينِ أودَى بحياة مئة ألف، وحدث زلزالٌ في إيطاليا أودى بحياة خمسة وثلاثين ألفاً، في ثوانٍ معدودة. موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ج٢ص ٧٤.

(٣)أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن .ج٩ص ٥٦.

(٤) سورة الحج الآية: ١.

على هذه الشدة تكرار الكلمة في «زُلزلت» وفي «زِلزالها» ، كما تُشعر به هذه الإضافة.

وقوله تعالى: ﴿زِلْزَالَهَا﴾ بالإضافة أبلغ من قوله: زَلزَال، دون إضافة إليها، ذلك أنّ المصدر غير المضاف يقع على كل قَدر من الزَلزَال وإن قَل، وإذا أضيف إليها وجب أن يكون على قدر ما يستحقه ويستوجبه جِرمها وعِظمُها.

وقد ذكر الفخر الرازي (ت: ٦٠٦هـ)في معنى هذه الإضافة وجوها:" أحدها : القَدْر اللائق بها في الحكمة ،كقولك :أكرمَ التقيَ إكرامَه وأهان الفاسق إهانتَه ، تريد ما يستوجبانه من الإكرام والإهانة ،والثاني : أن يكون المعنى زَلزالها كله وجميع ما هو ممكن منه ، والمعنى أنه وُجد من الزلزلة كل ما يحتمله المَحل ،والثالث : زلزالها الموعود أو المكتوب عليها إذا قُدِّرت تقدير الحَي ، تقريره ما روى أنها تزلزل من شدة صوت إسرافيل لما أنها قُدِّرت تقدير الحَي".(١)

وهو ما أكده الزركشي (ت: ٧٩٤هـ) بقوله :" إن إضافة الزلزال إليها يفيد معنى ذاتها وهو: زلزالها المختص بها المعروف منها المتوقع كما تقول غضب زيد غضبه وقاتل زيد قتاله أي غضبه الذي يُعرف منه وقتالَه المختص به "(٢)

فمعنى زُلزلت "حُركت حَركة شديدة، وتكرير حروفه تنبيه على تكرّر معنى الزَّلل فيه.(٣) فالزلزلة "الحركة العظيمة والإزعاج الشديد، ومنه زلزلة الأرض"(٤)

(١) مفاتيح الغيب .ج٣٢ص ٢٥٤.
(٢) البرهان في علوم القرآن .ج٢ص٣٩٦.
(٣) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز.ج٣ص ١٣٦.
(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر.ج٢ص ٣٠٨.

يقول العلامة أبو السعود (ت: ٩٨٢هـ) في معنى هذه الآية: "حُرِّكت تحريكاً متكرراً متداركاً، أي: الزلزال المخصوص بها على مقتضى المشيئة المبنية على الحِكَم البالغة، وهو الزلزال الشديد الذي لا غاية وراءه، أو زلزالها العجيب الذي لا يُقادر قدره، أو زلزالها الداخل في حيز الإمكان"[١].

الثاني: لأنها عامة في جميع الأرض ، بخلاف الزلازل المعهودة في بعض الأرض.، واختلف في هذه الزلزلة على قولين: أحدهما: أنها في الدنيا من أشراط الساعة ، وهو قول الأكثرين. الثاني: أنها الزلزلة يوم القيامة ، قاله خارجة بن زيد وطائفة".[٢]

وهذا الخطاب لمن لا يؤمن بالبعث وعيد وتهديد ، ولمن يؤمن به إنذار وتحذير ،ولذا قال قوم:" ليس المراد مِن زُلزلت حُرِّكت، بل المراد: تحركت واضطربت، والدليل عليه أنه تعالى يُخبر عنها في جميع السورة كما يُخبر عن المُختار القادر، ولأن هذا أدخل في التهويل كأنه تعالى يقول: إن الجماد ليضطرب لأوائل القيامة، أما آن لك أن تضطرب وتتيقظ من غفلتك. ويقرب منه قوله تعالى:﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾[٣]

واختير حرف الزاي هنا لأنه "مجهور رخو. وصوت هذا الحرف يقوم أصلاً على الاهتزاز الصوتي كحرفي الذال والظاء ، ولكنه يتميز عنهما بحدَّة خاصة، لا يخفِّف منها لثغ كما في الذال ، ولا فخامة وأناقة في

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم .ج٩ص ١٨٨.
(٢)تفسير الماوردي .ج٦ص ٣١٩.
(٣) سورة الحشر الآية: ٢١.

اللفظ كما في الظاء . ليكون حرف الزاي بذلك أحَدَّ أصوات الحروف قاطبةً. وعلى الرغم من بساطة صوت هذا الحرف الأسَلي ، فهو متنوع الخصائص. فحدَّة صوته توحي بالشدة والفعالية .وهذه الحدَّة التي تحاكي صوت حزِّ الحديد على الحديد ، تؤهِّله للتعبير عن الأصوات المماثلة في الطبيعة. ولما كان صوت هذا الحرف يستمد حدَّته من ذبذباته الصوتية العالية ، فهو إذا لُفظ بشيء من الشدَّة أوحى بالاضطراب والتحرّك والاهتزاز. أما إذا لفظ مخففا بعض الشيء ، فهو يوحي بالبعثرة والانزلاق وذلك (حذواً لمسموع الأصوات على محسوس الأحداث)".[١]

ومن الملاحظ أن لفظ (زَل زَل) قد بدأ بصوت الزاي وهو من أصوات الصفير وهو رخو مجهور، وهو أقل طولا من صوت اللام، فكأنه يشير إلى أن وقت الزلزال قصير جدا، فالعذاب يأتي بغتة ويُهلك ويدمر ما على الأرض، فيعقبه الهدوء الذي يمتد فناسب صوت اللام الطويل، لطول زمن السكون . ولعلنا نلحظ هذا الخط في الاستعمال القرآني . فالصوت القصير يأتي أولا في ألفاظ العذاب و الهلاك والتدمير، لقِصَر وقتها الذي يتناسب مع قدرة الله تعالى، في حين يعقبه صوت أطول منه، ليناسب ما يكون بعد العذاب من السكون .

فجاء تكرار حرفي الزاي واللام؛ ليوحي بالاضطراب الكوني، فالإيحاء الصوتي في القرآن الكريم ينهض به الصوت اللغوي، فيوحي بالمعنى بدقة، ففي كلمة زُلزلت إيحاء بالحركة القوية والعنيفة، وهي مشاهد مذهلة من مشاهد يوم القيامة، تُزلزل الأرض بمشهد مروع لا يدانيه مشهد من مشاهد الدنيا كالزلازل والبراكين، ثم يأتي تكرار الكلمة ليشكل طاقة إيحائية

(١) خصائص الحروف العربية. ص ١٣٧.

تتجلى في تكرار المعني وتقديم مشهد قيام الساعة في لقطة موحية بمشاهد مروعة حتى يستشعر المرء خطر ذلك اليوم من خلال حركة اللفظ التي تصور حركة الأرض واضطرابها.

فضلا عن ذلك فإن هذا الحرف الاهتزازي فيه دلالة إعجازية علمية تشير إلى ظاهرتين عرفهما الناس في حياتهم الدنيا، واعتبروهما من الكوارث الطبيعية وهما(الزلازل والبراكين)؛ نظرا لما تُحدثانه من هلاك ودمار وما تبثانه من هلع وذعر. وواضح من السياق أن ما سيحدث يوم القيامة سيكون أكثرا هولاً وأشد وقعاً وأنه لا وجه لتشبيه ما سيحدث في ذلك اليوم بما ألفه الناس أو عرفوه في دنياهم، ومن المثير للتأمل والتدبر أن أول آيتين في السورة قد أوردتا إشارتين علميتين في غاية الأهمية، لم يتوصل العلم إليهما بشكل قطعي إلا في منتصف هذا القرن وبعد تجميع كم هائل من القياسات والبيانات من كافة أنحاء العالم، استخدم في الحصول عليه أدق الأجهزة العلمية وأكثرها حساسية، وما كان يمكن لبشر في زمن محمد صلى الله عليه وسلم أن يصل إلي أي منها.

الإشارة العلمية الأولى: هي الربط بين ظاهرتي الزلازل والبراكين.

الإشارة العلمية الثانية: هي أن مكونات جوف الأرض أثقل من مكوناتها السطحية. (١)

ب: **تأثير صعوبة القيامة** .

وقد عبَّر عن هذا المعنى الحرف الاهتزازي (دَكاً دَكاَ)

(١) موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ج٢ص ٧٥.

فالدال والكاف أصلان: أحدهما يدل على تطامُن وانسطاح. ومنه الأرض الدكَّاء: وهي الأرض العريضة المستوية. ومنه الناقة الدكَّاء، وهي التي لا سَنام لها. قال الكسائي: الدَكُّ من الجبال: العِراض، واحدها أدَك. وفرس أدَكُ الظهر، أي عريضُه، والأصل الآخر يقرب من باب الإبدال، فكأن الكاف فيه قائمة مقام القاف. يقال دككتُ الشيء، مثل دققتُه، وكذلك دكَّكته. ومنه دُكَّ الرجل فهو مدكوك، إذا مَرِض. ويجوز أن يكون هذا من الأول، كأن المرض مدَّه وبسَطَه؛ فهو محتمل للأمرين جميعا. والدكداك من الرمل كأنه قد دُك دكا، أي دُق دقا. قال أهل اللغة: الدكداك من الرمل: ما التبَد بالأرض فلم يرتفع... ومن هذا الباب: دككتُ التراب على الميت أدُكه دكا، إذا هِلته عليه. وكذلك الرَكِية[1] تدفنها. وقيل ذلك لأن التراب كالمدقوق.[2]

وقد ورد هذا الحرف الاهتزازي مكررا في قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ [3]

وورد في مواضع أخرى من القرآن غير مكرر ،منها في قصة موسى الكليم قال تعالى:﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۖ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ ﴾[4]،وفى سياق الحديث عن مصير السد الذى بناه ذو القرنين قال تعالى:﴿ قَالَ هَٰذَا رَحۡمَةٞ مِّن رَّبِّيۖ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَۖ وَكَانَ وَعۡدُ رَبِّي حَقّٗا ﴾ [5]

(١) الرَّكية: الْبِئْر لم تطو ،جمعه ركايا ورُكي. المعجم الوسيط . بَاب الرَّاء .ج١ص ٣٧١.
(٢) مقاييس اللغة . مادة (د .ك). ج ٢ص ٢٥٨.
(٣) سورة الفجر الآية: ٢١.
(٤) سورة الأعراف الآية: ١٤٣.
(٥) سورة الكهف الآية: ٩٨.

وقد وجه المفسرون أقوالهم في تفسير الآية وفق ما حوته اللفظة من معان في أصلها اللغوي ،وما أفاده تكرار اللفظ يقول الفخر الرازي(ت: ٦٠٦هـ):" واعلم أن التكرار في قوله: دَكا دَكا معناه دكا بَعد دَك كقولك: حسبته باباً باباَ وعلَّمتُه حرفاً حرفاً أي كَرَّر عليها الدَك حتى صارت هباءً منثوراَ. واعلم أن هذا التدكدك لا بد وأن يكون متأخرا عن الزلزلة، فإذا زُلزلت الأرض زَلزلة بعد زَلزلة وحُرِّكت تحريكا بعد تحريك انكسرت الجبال التي عليها وانهدمت التلال وامتلأت الأغوار وصارت ملساء، وذلك عند انفضاض الدنيا "[١]

والمتتبع لآيات القرآن يجد هذا المعنى الإعجازي للحرف الاهتزازي(دَكا دَكا) قد فسرته آيات أخرى كثيرة في القرآن الكريم جاءت لتتحدث عن الأحوال التي تصير إليها الأرض وما عليها من الجبال يوم القيامة ومن ذلك:

أنه سبحانه ينزعها من أماكنها ويحملها فيدُكُّها دكا. وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَحُمِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةٗ وَٰحِدَةٗ ﴾[٢]،ثم يُسيرها في الهواء بين السماء والأرض. قال تعالى:﴿ وَتَرَى ٱلۡجِبَالَ تَحۡسَبُهَا جَامِدَةٗ وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَيۡءٍۚ إِنَّهُۥ خَبِيرُۢ بِمَا تَفۡعَلُونَ ﴾ [٣] والآيات في هذا المعنى كثيرة[٤].

---

(١) مفاتيح الغيب .ج٣١ص ١٥٨.

(٢) سورة الحاقة الآيات: ١٣ – ١٥.

(٣) سورة النمل الآيتان: ٨٧ . ٨٨ .

(٤) منها قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾ [سورة الكهف الآية: ٤٧]. وقوله تعالى:{وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴾ [التكوير: ٣] ،وقوله تبارك وتعالى: ﴿ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ﴾[سورة الطور الآيتان: ٩ . ١٠].

كما بين سبحانه أن الجبال تتفتت وتُدق، وتصير كالهباء المنبث فقال تعالى: ﴿ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝٥ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴾ [١] ،وَقَوْلِهِ سبحانه: ﴿ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴾ [٢] ،حتى أنها تصير كالرمل المتهايل[٣] ،وكالعهن المنفوش ،قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴾ [٤]وقوله سبحانه: ﴿ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴾ [٥]،حتى أنها ستُسيَّر وتكون سرابا، قال تعالى: ﴿ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴾ [٦]، والسراب كلاَ شيء كما قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا ﴾[٧]، ويبين سبحانه أنه سينسفها نسفا قال تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ۝١٠٥ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ۝١٠٦ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴾[٨]

وبالنظر إلى الدلالة الصوتية ،نجد أن الدال حرف أسناني لثوي في حين أن الكاف حرف طبقي، فجاء صوت الدال ليُعبِّر عن صوت الدكّ،

---

(١) سورة الواقعة الآيات: ٤ – ٦.

(٢) سورة الحاقة الآية: ١٤.

(٣) هِلْتُ الدقيق في الجراب: صبَبتُه من غير كَيْلٍ. وكلُّ شيء أرسلتَه إرسالا، من رمل أو تراب أو طعامٍ ونحوه، قلت: هِلته أهليه هَيلا، فانهال، أي جرى وانصب. الصحاح . مادة(هـ . ى .ل). ج٥ص ١٨٥٥.

(٤) سورة المزمل الآية: ١٤.

(٥) سورة القارعة الآية: ٥. ومثله قوله تعالى:﴿ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾ [سورة المعارج الآية: ٩].وَالْعِهْنُ: الصُّوفُ الْمَصْبُوغُ. والقطعة منه عِهْنَةٌ، والجمع عُهونٌ. الصحاح. مادة (ع . هـ . ن) ج٦ص ٢١٦٩.

(٦) سورة النبأ الآية: ٢٠.

(٧) سورة النور من الآية: ٣٩.

(٨) سورة طه الآيات: ١٠٥ - ١٠٧

وكأنك تتخيل مشهد الأسنان وهي تصطك لتعبر عن هذا الدمار، ويأتي صوت الكاف ليُكمل ذلك المشهد المروع، فالأرض تُدك كأنها طبقات بعضها فوق بعض، وهي تُطبَق على ما فيها من بشر و شجر وجبال، ويمكنك استشعار الانفعالات النفسية المتمثلة في الخوف الشديد ، فيأتي الكاف ليؤكد شعور الخوف لديهم، ودنوهم من النهاية، فكما أن صفته الإطباق، فالصورة كذلك مطبقة على مَن فيها.

ج: **تسوية الأرض يوم القيامة**.

وقد عبَّر عن هذا المعنى الحرف الاهتزازي (صَف صَف)

والصاد والفاء " أصل واحد يدل على استواء في الشيء وتساوٍ بين شيئين في المقر. ومن ذلك الصَف، يقال وقفا صفا، إذا وقف كل واحد إلى جنب صاحبه. واصطف القوم وتَصافُّوا. والأصل في ذلك الصَفْصَف، وهو المستوِي من الأرض، فيقال للموقف في الحرب إذا اصطف القوم: مَصف، والجمع: المصاف. والصفوف".(١)

وهذا الحرف الاهتزازي ورد في قوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴾.(٢)

وهذا الحرف الاهتزازي ورد في سياق هذه الآية الكريمة للدلالة على استواء الأرض بعد تفريغها ،والضمير في قوله: ﴿فيذرها﴾ فيه وجهان معروفان عند العلماء:

(١) مقاييس اللغة . مادة(ص .ف). ٣ص ٢٧٥.

(٢) سورة طه الآيات: ١٠٥ – ١٠٧.

أحدهما: أنه راجع إلى الأرض وإن لم يَجر لها ذكر. [١]،**الثاني**: أنه راجع إلى منابت الجبال التي هي مراكزها ومقارها لأنها مفهومة من ذكر الجبال. والمعنى: فيذر مواضعها التي كانت مستقرة فيها من الأرض قاعا صفصفا. والقاع: المستوي من الأرض. وقيل: مستنقع الماء. والصَفصَف: المستوي الأملس الذي لا نبات فيه، ولا بناء، فإنه على صف واحد في استوائه. وقوله تعالى: ﴿لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾ [٢]أي: لا اعوجاج فيها، ولا أمت. والأمت: النتوء اليسير. أي: ليس فيها اعوجاج، ولا ارتفاع بعضها على بعض، بل هي مستوية"[٣]

يقول الإمام ابن كثير:" تذهب الجبال، وتتساوى المهاد، وتبقى الأرض ﴿قَاعاً صَفْصَفاً﴾ أي: سطحا مستويا لا عوج فيه ﴿وَلَا أَمْتًا﴾ أي: لا وادي ولا جبل".[٤]

وقال التفت الزمخشري إلى دقة التعبير القرآني (صَف صَف) المعبِّر عن تمام التسوية للأرض في هذه الآية الكريمة فقال: "إن قلتَ: قد فرّقوا بين العِوج والعَوج، فقالوا: العِوج بالكسر في المعاني. والعَوج بالفتح في الأعيان، والأرض عين، فكيف صح فيها المكسور العين؟ قلت: اختيار هذا اللفظ له موقع حسن بديع في وصف الأرض بالاستواء والملاسة، ونفى الاعوجاج عنها على أبلغ ما يكون، وذلك أنك لو عمدت إلى قطعة

---

(١)ونظير هذا القول في هذه الآية قوله تعالى: ﴿مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ ﴾ [سورة فاطر الآية: ٤٥] وقوله: ﴿مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ [سورة النحل الآية: ٦١] ، فالضمير فيهما راجع إلى الأرض ولم يجر لها ذكر.

(٢)سورة طه الآية: ١٠٧.

(٣)أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن .ج٤ص ٩٨.

(٤) تفسير ابن كثير.ج٥ص ١٦٥.

أرض فسوّيتها وبالغت في التسوية على عينك وعيون البصراء من الفلاحة، واتفقتم على أنه لم يبق فيها اعوجاج قط، ثم استطلعت رأى المهندس فيها وأمرته أن يعرض استواءها على المقاييس الهندسية، لعثر فيها على عِوج في غير موضع، لا يدرَك ذلك بحاسة البصر ولكن بالقياس الهندسي، فنفى الله عزّ وعلا ذلك العوج الذي دَقّ ولطُف عن الإدراك، اللهمّ إلا بالقياس الذي يَعرفه صاحب التقدير والهندسة، وذلك الاعوجاج لمَّا لم يُدرَك إلا بالقياس دون الإحساس لَحِق بالمعاني، فقيل فيه: عِوج بالكسر. الأمت: النتوّ اليسير، يقال: مدّ حبله حتى ما فيه أمت".[١]

ومعنى (صَفصَف) الذي ذُكر هنا بينه القرآن في غير هذا الموضع. كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [٢] والبروز:" الظهور ترى الأرض ظاهرة منكشفة لذهاب الجبال والظراب[٣] والآكام[٤]، والشجر والعمارات التي كانت عليها، وأقوال العلماء في معنى ذلك راجعة إلى شيء واحد، وهو أنها أرض مستوية لا نبات فيها، ولا بناء ولا ارتفاع ولا انحدار".[٥]

ويقول ابن كثير:" بادية ظاهرة، ليس فيها معلم لأحد ولا مكان يواري أحدا، بل الخلق كلهم ضاحون لربهم لا تخفى عليه منهم خافية".[٦]

---

(١)أضواء البيان .ج٣ص ٢٨٣.

(٢) سورة الكهف الآية: ٤٧.

(٣) الظِّرَابُ، جَمْعُ ظَرِبٍ، النَّابِتُ مِنَ الْحِجَارَةِ مَعَ حِدَّةٍ فِي طَرَفِهِ. مقاييس اللغة. مادة (ظ .ر.ب) ،ج٣ص ٤٧٥.

(٤) (الأكمة) التَل وجمعه أَكَم وإكام وآكام. المعجم الوسيط .مادة (أ .ك .م)،ج ١ص ٢٣.

(٥)أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن .ج٤ص ٩٨.

(٦) تفسير ابن كثير.ج٥ص ١٦٥.

واختير حرف الصاد هنا لأنه:" حرف مهموس، رخو، وهذا الحرف إنما هو تفخيم لحرف السين وصفيريٌّ مثله، إلا أنه أملأ منه صوتاً، وأشد تماسكاً، فهو من أصوات الحروف كالرصاص من المعادن رجاحةَ وزنٍ، وكالرخام الصقيل من الصخور الصمَّاء صلابة ونعومة ملمسٍ، وكالإعصار من الرياح، صرير صوت يقدح ناراً.

ولقد منحته هذه الخصائص الصوتية شخصية فذَّة طغى بها على معاني معظم الحروف في الألفاظ التي تصدرها، ليعطيها من نقاء صوته صفاء صورة وذكاء معنى، ومن صلابته شدة وقوة وفاعلية، ومن طبيعته الصفيرية مادة صوتية نقية ماكان أصلحها لمحاكاة الكثير من أصوات الناس والحيوانات وأحداث الطبيعة".[١]

فهو يصور الجبال الراسية الراسخة قد نُسفت نسفا وإذا هي قاع بعد ارتفاع، قاع صفصف خال من كل نتوء ومن كل اعوجاج ،وذلك لمناسبة قوة صوت الصاد وإطباقه وصفيره لهذا المشهد المريع وكأنه ريح قوية عاصفة أتت على الأخضر واليابس. ويتلوه صوت الفاء المهموس وهو من أضعف الأصوات في اللغة العربية ليتناسب مع الإخلاء والتفريغ حتى النهاية، حيث لا يبقى أثر. كل ذلك صيغ في مقطع ثنائي مكرر، تكوَّن من صوتي الصاد والفاء المتقاربين في المخرج ، فالصاد من الحروف الأسنانية اللثوية، والفاء صوت شفوي أسناني ، ليعبر هذا التقارب عن تقارب بداية ونهاية هذا المشهد وسرعتها التي قضت على كل ما على

(١) خصائص الحروف العربية ص٤٨.

الأرض ، حيث يفيد همس الفاء وانفتاحها استمرار بقاء الأرض خالية ، وجو الصمت السائد حينها وكأنها عاصفة تسكن بعد ذلك النسف والتسوية ، وتُنصت الجموع المحشودة المحشورة وتَخفت كل حركة فلا تسمع إلا همسا.

د : مجيء الملائكة صفًا صفًا.

وقد عبر عن هذا المعنى الحرف الاهتزازي (صَفّاً صَفّاً)

والصاد والفاء يدل على أصل واحد، وهو استواء في الشيء وتساو بين شيئين في المقر. من ذلك الصَف، يُقال وقَفا صفا، إذا وقف كل واحد إلى جنب صاحبه. واصطف القوم وتصافُّوا. والأصل في ذلك الصَفصَف، وهو المستوي من الأرض، فيقال للموقف في الحرب إذا اصطف القوم: مَصف، والجمع: المصاف".(١)

وقد ورد هذا الحرف الاهتزازي مكررا مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾.(٢)

يقول الإمام البيضاوي(ت: ٦٨٥هـ) :"وجاء ربك أي ظهرت آيات قدرته وآثار قهره مثل ذلك بما يظهر عند حضور السلطان من آثار هيبته وسياسته. والمَلك صَفا صَفا بحسب منازلهم ومراتبهم".(٣)

ويقول الألوسي(ت: ١٢٧٠هـ) في معنى مجيء الملائكة صفوفا:" وَالْمَلَكُ أي جنس الملك فيشمل جميع ملائكة السماوات عليهم السلام

(١) مقاييس اللغة . مادة(ص. ف).ج٣ص ٢٧٥. ،الصحاح . مادة(ص. ف).ج٤ص ١٣٨٧.
(٢) سورة الفجر الآيتان: ٢١، ٢٢.
(٣)أنوار التنزيل وأسرار التأويل .ج٥ص ٣١١.

﴿صَفًّا صَفًّا﴾ أي مصطفين أو ذوي صفوف فإنه قيل: ينزل يوم القيامة ملائكة كل سماء فيصطفون صفا بعد صف بحسب منازلهم ومراتبهم محدقين بالجن والإنس، وقيل: يصطفون بحسب أمكنة أمور تتعلق بهم وهو قريب مما ذكر. وروي أن ملائكة كل سماء تكون صفا حول الأرض فالصفوف سبعة على ما هو الظاهر".[١]

وفى مقابل ذلك ورد لفظ (صفا)غير مكرر في خمس مواضع[٢] منها: قوله تعالى: ﴿ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا ﴾ [٣]،وقوله تعالى: ﴿ فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا ﴾[٤]﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ﴾ [٥]،وقوله سبحانه:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾[٦] ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ﴾[٧]

وفي تفسير الصف وجوه. أحدها: أنه تُعرض الخلق كلهم على الله صفاً واحداً ظاهرين بحيث لا يَحجب بعضُهم بعضَا، قال القفال: ويشبه أن يكون الصف راجعا إلى الظهور والبروز، ومنه اشتق الصَفصَف للصحراء. **وثانيها**: لا يبعد أن يكون الخلق صفوفا يقف بعضهم وراء بعض مثل الصفوف المحيطة بالكعبة التي يكون بعضها خلف بعض، وعلى هذا

(١) روح المعاني .ج١٥ص ٣٤٣.
(٢) أنظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن .ص ٤٠٩.
(٣) سورة الكهف من الآية: ٤٨.
(٤) سورة طه من الآية: ٦٤.
(٥) سورة الصافات الآية:١
(٦) سورة الصف الآية: ٤.
(٧) سورة النبأ الآية: ٣٨.

التقدير فالمراد من قوله صفا صفوفا كقوله: ﴿ يُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ﴾[1] أي أطفالا. وثالثها: صفا أي قياما، كما قال تعالى: ﴿ فَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا صَوَآفَّ ﴾ [2] قالوا قياما".[3]

وتدلّ نصاعة صوت الصّاد ونقائه على القوّة والمُكْنة إذ يتضامن الفرد و الجماعة عند القتال في سبيله ، داخل الصّفّ المتين المكين قتال فيه صمود و ثبات يشدّ أصحابه بعضهم بعضًا ،وتُرَصُّ لبنات بنائه رصًّا يصدّ أيّ اعتداء على حرمة المسلمين. فاللّفظتان"صفًا" و"مرصوص" للدّلالة على معنى الثّبات و الصّمود ، فالصّاد هنا حرف احتكاكي ، وأندى في السّمع ، لذلك فصوت الصّاد يَصلح لمحاكات الأصوات الطبيعية.

سابعًا: عذاب المشركين في الدنيا(دَم دَم ـ صَر صَر ـ صَي صَى).

وردت مجموعة من الحروف الاهتزازية متحدثة عن أنواع من عذاب المشركين في الدنيا، وتدميرهم بالريح العاتية، أوهزيمتهم وإنزالهم من حصونهم ومن ذلك:

أ ـ غشيان العذاب والإهلاك لثمود قوم صالح.

وقد عبَّر عن هذا المعنى الحرف الاهتزازي (دَ مْ دَ مَ)

وهو على وزن (فَعلَلَ) ،والدال والميم أصل واحد يدل على غشيان الشيء من ناحية أن يُطلى به. تقول: دَمَمْتُ الثوب، إذا طليتَه أيَّ صِبغ، وكل شيء طُلي على شيء فهو دِمَامٌ. فأما الدَمدَمة فالإهلاك. قال الله

(١) سورة غافر من الآية: ٦٧.

(٢)سورة الحج من الآية: ٣٦.

(٣) مفاتيح الغيب .ج٢١ص ٤٦٩.

تعالى:﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ﴾ [١] وذلك لما غشاهم به من العذاب، والإهلاك. وقِدر دميم: مطلية بالطحال. والداماء: جُحر اليَربوع، لأنه يَدُمه دمًّا، أي يسويه تسوية. فأما قولهم رجل دَميم الوجه فهو من الباب، كأن وجهه قد طُلي بسواد أو قُبح. يقال دمَّ وجهه يدُم دَمامة، فهو دميم، وأما الدَيمومة، وهي المفازة لا ماء بها، فمن الباب؛ لأنها كأنها في استوائها قد دُمَّت، أي سُويت تسوية، كالشيء الذي يُطلى بالشيء. وَالدَّمَادِمُ من الأرض: روابٍ سهلة".[٢]

وهذا الحرف الاهتزازي من فرائد القرآن فقد ورد مرة واحدة في قوله تعالى:﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا﴾[٣]

وقد ورد في سياق قصة ثمود حين كذَّبت نبيها صالح ـ عليه السلام ـ بطغيانها وبغيها، ونهض أشقاها مُريداً عقر الناقة. فقال لهم صالح ـ عليه السلام: اتركوا ناقة الله تأكل في أرض الله، واحذروا منعها الشرب في يومها. فكذَّبوا رسولهم في وعيده فعقروها، فدمر عليهم ربهم ديارهم بذنبهم، فسواها بالأرض.

وقد وجه المفسرون أقوالهم في تفسير الآية وفق ما حوته اللفظة من معان في أصلها اللغوي، فقالوا في معنى:﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا﴾ **ثلاثة أوجه:**

---

(١) سورة الشمس الآية: ١٤.

(٢) مقاييس اللغة .مادة(د. مَّ).ج ٢ص ٢٦٠.

(٣) سورة الشمس الآيات: ١١ – ١٥.

أحدها: معناه فغضب عليهم. يقول الفخر الرازي(ت:٦٠٦هـ)"قال ابن الأنباري: دمدم غضب، والدمدمة الكلام الذي يُزعج الرَجل"[١]

الثاني: معناه فأطبق عليهم. "تقول للشيء: يُدفن دَمدَمتُ عليه، أي سَويت عليه، فيجوز أن يكون معنى فدمدم عليهم، فسوى عليهم الأرض بأن أهلكهم فجعلهم تحت التراب" [٢]

وكذا قال أبو حيان (ت: ٧٤٥هـ):" دمدم عليه القبر: أطبقه. وقال مؤرج: الدمدمة: إهلاك باستئصال. وقال في الصحاح: دمدمتُ الشيء: ألزقتَه بالأرض وطَحطَحتَه".[٣]

وينقل الفخر الرازي(ت: ٦٠٦هـ)عن الزجاج أن:" معنى دمدم أطبق عليهم العذاب، يقال: دَمدمتُ على الشيء إذا أطبقتُ عليه، ويقال: ناقة مدمومة، أي قد ألبسها الشحم، فإذا كَرَّرتَ الإطباق قلتَ دمدمتُ عليه. قال الواحدي: الدم في اللغة اللطخ، ويقال للشيء السمين: كأنما دُم بالشحم دما، فجعل الزجَّاج دَمدَم من هذا الحرف على التضعيف نحو كُبكِبُوا وبابُه، فعلى هذا معنى دمدم عليهم، أطبق عليهم العذاب وعمهم كالشيء الذي يلطخ به من جميع الجوانب" [٤]

الثالث: معناه فدمّر عليهم ، وهو الإهلاك.[٥]

---

(١) تفسير الرازي.ج٣١ص ١٧٩.

(٢) مفاتيح الغيب.ج٣١ص ١٧٩.

(٣) البحر المحيط في التفسير (١٠ص ٤٨٥) ،ودرج الدرر في تفسير الآي والسور ط الحكمة .ج٤ص ١٧٣٢.

(٤) مفاتيح الغيب.ج٣١ص ١٧٩.

(٥) مقاييس اللغة مادة(د م م).ج ٢ص ٢٦٠.

أما معنى﴿ فسوّاها﴾ ففيه وجهان: أحدهما: فسوى بينهم في الهلاك ، قاله السدي ويحيى بن سلام. يقول الفخر الرازي(ت: ٦٠٦هـ):" إن فسرنا الدمدمة بالإطباق والعموم، كان معنى فسوى الدمدمة عليهم وعمَّهم بها، وذلك أن هلاكهم كان بصيحة جبريل عليه السلام، وتلك الصيحة أهلكتهم جميعا، فاستوت على صغيرهم وكبيرهم".(١)

الثاني: فسوّى بهم الأرض ، ذكره ابن شجرة. يقول الفخر الرازي:" إن فسرناها بالتسوية، كان المراد فسوى عليهم الأرض".(٢) ويحتمل ثالثاً: فسوّى مَن بعدهم مِنَ الأمم".(٣)

وقد لخص الإمام البقاعي(ت: ٨٨٥هـ) هذه المعاني مصوراً مشهد الدَمدَمة وآثارها فقال:" ﴿ فَدَمْدَمَ ﴾أي عَذَّب عذاباً تاماً مُجلّلاً مغطياً مُطبقاً مستأصِلاً شَدَخ به رؤوسهم وأسرع في الإجهاز وطحنهم طحناً مع الغضب الشديد ، ودل بأداة الاستعلاء على شدته وإحاطته فقال: {عليهم} ودل على شدة العذاب لشدة الغضب بلَفت القول بذكر صفة الإحسان التي كفروها لأنه لا أشد غضباً ممن كُفر إحسانُه فقال: ﴿رَبُهُم﴾ أي الذي أحسن إليهم فغرَّهم إحسانه فقطعه عنهم فعادوا كأمس الدابر ﴿بِذَنبِهِم﴾ أي بسببه. ولما استووا في الظلم والكفر بسبب عقر الناقة بعضُهم بالفعل وبعضُهم بالرضا والحَث، قال مسبباً عن ذلك ومعقباً: ﴿فسوَّاهَا﴾ أي الدمدمة عليهم فجعلها كأنها أرض بُولغ في تعديلها فلم يكن فيها شيء خارج عن شيء كما سوى الشمس المقسَم بها وسوى بين الناس فيها،

(١)تفسير الرازي.ج٣١ص ١٧٩.
(٢)المرجع نفسه .ج٣١ص ١٧٩.
(٣) مفاتيح الغيب .ج٣١ص ١٧٩.

وكذا ما أقسم به بعدها، فكانت الدمدمة على قويهم كما كانت على ضعيفهم، فلم تَدع منهم أحداً ولم يتقدم هلاك أحد منهم على أحد، بل كانوا كلهم كنفس واحدة من قوة الصعقة وشدة الرجفة ،كما أنهم استووا في الكفر والرضا بعقر الناقة". (١)

وهذه الدمدمة والغضب وتكرار العذاب والهلاك الذي دمر الله به ثمود بيَّنها القرآن الكريم في مواضع أخرى بعبارات مختلفة، منها الصاعقة في قوله تعالى:﴿ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ ﴾(٢)، وَقَوْلِهِ سبحانه:﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾ (٣) ،وقوله عز وجل:﴿ وَفِى ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا۟ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا۟ مُنتَصِرِينَ ﴾(٤) ،وجاء التعبير عنه بالصيحة في أكثر من موضع(٥) منها قوله تعالى:﴿ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ ۗ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا۟ كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴾ (٦)،وعبّر عنه بالرجفة قال تعالى:﴿ فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. ج٢٢ص ٨٢. ،والتحرير والتنوير. ج٣٠ص ٣٧٥.

(٢) سورة فصلت من الآية: ١٧.

(٣) سورة فصلت الآية: ١٣.

(٤) سورة الذاريات الآيتان:٤٤ . ٤٥.

(٥) يدل عليه قوله تعالى : ﴿وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ﴾ [سورة الحِجر: ٨٣] ،وقوله سبحانه: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ﴾ [سورة القمر: ٣١] ،وقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ﴾[سورة العنكبوت: ٤٠].يعنى به ثمود المذكورين في قوله قبله: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ ﴾ [سورة العنكبوت: ٣٨] .

(٦) سورة هود الآية: ٦٨.

جَٰثِمِينَ ﴾.[١]،وعبّر عنه بالتدمير في قوله عز وجل: ﴿ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكۡرِهِمۡ أَنَّا دَمَّرۡنَٰهُمۡ وَقَوۡمَهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾[٢].وجاء التعبير عن ذلك العذاب بالطاغية قال تعالى:﴿ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهۡلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴾[٣] وعبَّر عنه بالعذاب في قوله تعالى:﴿ فَعَقَرُوهَا فَأَصۡبَحُواْ نَٰدِمِينَ ١٥٧ فَأَخَذَهُمُ ٱلۡعَذَابُۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾[٤]

وهذه الآيات الكريمة تفسر معنى (دمدم) وتكشف أنواع العذاب الذى حل بثمود إذ أرسل الله:" عليهم صيحة أهلكتهم، والصيحة الصوت المزعج المهلك، والصاعقة تطلق أيضا على الصوت المزعج المهلك، وعلى النار المحرقة، وعليهما معا، ولشدة عِظم الصيحة وهولها مِن فوقهم رُجفت بهم الأرض من تحتهم، أي تحركت حركة قوية، فاجتمع فيها أنها صيحة وصاعقة ورجفة، وكون ذلك تدميراً واضح. ولذا قيل لها طاغية[٥]؛لأنها واقعة مُجاوزة للحد في القوة وشدة الإهلاك".[٦]

وبالإضافة إلى هذه المعاني السابقة فقد دل الحرف الاهتزازي (دَم دَم) على السرعة و التكرار والتراكم، و ذلك لما غشَّاهم به من العذاب والإهلاك.، فقد أرسل الله تعالى على ثمود بعد الصيحة والصاعقة والرجفة، ما غطّاهم وسوّى ديارهم، من الرمال أو الطين، المرّة بعد المرّة.

---

(١) سورة الأعراف الآية: ٧٨.

(٢) سورة النمل الآية: ٥١.

(٣) سورة الحاقة الآية: ٥.

(٤) سورة الشعراء الآيتان: ١٥٧، ١٥٨.

(٥)الطغيان في لغة العرب تجاوز الحدّ في العصيان ، المفردات في غريب القرآن (ص: ٥٢٠) ومنه قوله - تعالى: {وَلا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي}[سورة طه الآية: ٨١].

(٦)أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن .ج٧ص٢٢.

وهذه المفردة توحي بتوالي العقوبة ونزولها عليهم قِطعاً متتابعات، حتى إهلاكهم، وكأن نهايتهم كانت دامية بتكرار المقطع (دَم دَم)، ولذلك أردف العبارة بقوله تعالى: ﴿فَسَوَّاهَا﴾ أي: سوّى بهم الأرض، فلم يبق منهم ناجٍ.

ولفظ (دَمْدَمَ) فيه إيقاع شديد يناسب جوّ التدمير لقوم ثمود، واللفظة مؤلّف من مقطعين (دم) (دم) أو من مقطع متكرر، للإيحاء بجوّ التدمير، بما فيه من أحداث متكررة حتى يتحقّق التدمير الكامل في النهاية"[1]

ولما كان حرف الدال شديداً مجهورا، ناسبت تلك الشدة وذلك الجهر، التدمير الذي عَصف بهم في شِدته، وصِياحهم و صُراخهم الذي صاحب ذلك الدمار، ويأتي صوت الميم المجهور ليُكمل تلك الصورة ويُسدل الستار على ذلك المشهد المروع . ولعل ما جعل اللفظ معبِّرا أصدق تعبير عن هذا الموقف هو النغمة الشديدة والصارمة التي امتزجت مع المعنى فأكسبتها تلك الصورة الناطقة، وتكرار صَوتَي (الدال و الميم) زاد في إعطاء اللفظ شُحنة مضاعفة من التعبير، فجاء منسجما متناغما مع الدلالة التي حملها إلينا. فاللفظ يوحي بما وراءه، ويُصوِّر معناه بجرسه، " ويكاد يرسم مشهدا مروعا مخيفا وقد سوى الله أرضهم عالِيها بسافِلِها، وهو المشهد الذي يرتسم بعد الدمار العنيف الشديد"[2]

ب ـ هلاك عاد قوم هود .

(١) وظيفة الصورة الفنية في القرآن . عبد السلام أحمد الراغب . ص ٣٨٩.

(٢)المهذب في تفسير جزء عم . ص ٦٥٣.

وقد عبر عن هذه الدلالة الحرف الاهتزازي (صَ ر صَ ر)

والصَرصَر: وزنه بالميزان الصرفي (فَعفَل). والصاد والراء أصول: الأول: صَرّ الدراهم يصُرها صَراً ،وأما الثاني: وهو من السمو والارتفاع فقولهم: صرَّ الحمارُ أذنه، إذا أقامها، وأما الثالث: فالبرد والحر، وهو الصِر، يقال أصاب النبت صِر، إذا أصابه برد يَضُر بِه ،والصِر: صر الريح الباردة: وأما الرابع، فالصوت من ذلك الصَرَّة[١]: شدة الصياح، صرّ الجندب صريرا، وصرصر الأخطب صرصرة، كأنهم قدّروا في صوت الجندب المدّ وفي صوت الأخطب الترجيع فحكَوه على ذلك ،والصرّة: الضجّة والصيحة، والصَّرْصَرُ: دُوَيْبَّةٌ تَحت الأَرْض تَصِرّ أيّام الرّبيع".[٢]

وقد ورد الحرف الاهتزازي(صَرصَر) في القرآن في ثلاثة مواضع. جميعها تُصوِّر العذاب الذى حل بقوم عاد.

الأول: قوله تعالى:﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴾[٣] **الثاني:** قوله سبحانه:﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴾.[٤]الثالث :وفيه جاءت (صَرصَر) موصوفة بالعاتية في قوله تعالى:﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ

(١) ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ [سورة الذاريات الآية: ٢٩].

(٢)مقاييس اللغة .مادة (ص. ر.ر) ج٣ص٢٨٢. وانظر: غريب القرآن لابن قتيبة ص ٣٨٨.

(٣) سورة القمر الآيتان: ١٨ – ٢١.

(٤) سورة فصلت الآيات: ١٥، ١٦.

أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴾.(١)

وقد وردت مادة (صِرّ) بدون تضعيف في قوله تعالى:﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾(٢)

ووفق ما حوته اللفظة من معان في أصلها اللغوي، وجه المفسرون أقوالهم فقالوا في معنى (صَرصَر) وجهان :

الأول: أن الريح الصرصر هي الريح العاصفة الشديدة الهبوب التي يُسمع لهبوبها صوت شديد، وعلى هذا، فالصَرصَر من الصَرَّة التي هي الصيحة المُزعجة، ومنه قوله تعالى:﴿ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا ﴾(٣) ، أي في صيحة، ومن هذا المعنى صرير الباب والقلم، أي صوتهما.

قال ابن عاشور(ت:١٣٩٣هـ):" الصَرصَر: الريح العاصفة التي يكون لها صَرصَرة، أي دَوي في هبوبها من شدة سرعة تنقلها، وتضعيفُ عَينِه للمبالغة في شِدَّتها بين أفراد نوعها كتضعيف كَبكَب للمبالغة في كَبَّ، وأصله صَرّ، أي: صاح، وهو وصف لا يؤنَّث لفظه لأنه لا يجري إلا على الريح وهي مقدرة التأنيث".(٤)

(١) سورة الحاقة الآيات: ٦ – ٨.
(٢)سورة آل عمران الآية: ١١٧.
(٣) سورة الذاريات الآية: ٢٩.
(٤) التحرير والتنوير. ج٢٤ص ٢٥٩.

الثاني: أن الصَرصَر من الصِرّ الذي هو البرد الشديد المُحرق، ومنه قوله تعالى:﴿ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ﴾[١]

وفى اختيار حرف الصاد والراء هنا تصوير لهذا المشهد حتى كأنك تلمس في (صَرصَر) "اصطكاك الأسنان، وترديد اللسان، فالصاد في وقعها الصارخ، والراء المضعّفة، والتكرار للمادة في صَرصَر، قد أضفيا صيغة الشدة، وجسّدا صورة الرهبة، فلا الدفء بمستنزل، ولا الوقاية متيسرة، وذلك ما يَهد كيان الإنسان عند التماسه الملجأ فلا يجدُه، أو النجاةَ فلا يصل شاطئها، أو الوقاية من البرد القارس فلا يهتبلها[٢]،وفي لفظ (الصِر) ذائقة الشتاء، ونازلة الثلوج، وأصوات الرياح العاتية، وذلك لأن مادة الصِر «ترجع إلى الشدة لما في البرودة من التعقد»[٣]

فتضعيف الألفاظ يأتي من أجل إظهار معاني الشدة والمبالغة فيها ،فلما أراد المبالغة في شدة الصِفة كرر المقطع، قال ابن جني: "فلمّا كانت الأفعال دليلة المعاني كرروا أقواها وجعلوه دليلاً على قوّة المعنى المحدَّث به وهو تكرير الفعل كما جعلوا تقطيعه في نحو صَرصَر وحَقحَق دليلا على تقطيعه"[٤]

(١) سورة آل عمران من الآية: ١١٧.

(٢) الاهْتبالُ: الاغْتنامُ، والاحْتيالُ والاقتصاصُ. يقال: اهْتَبَلْتُ غَفْلتَه. الصحاح .مادة(هـ .ب . ل)،ج٥ص ١٨٤٧.

(٣)الصوت اللغوي في القرآن ص: ١٨٧.

(٤) الخصائص لابن جنى.ج٢ص ١٥٥.

فالصَرصَر وصف خاص للريح المرسَلة بالعذاب، فالكلمة بحروفها الاهتزازية، وحروفها المكررة (الصاد والراء) توحي بشدة الريح، وتَلاحقها وطول زمنها، فالصاد حرف صفيري يحمل معه صوت صفير الريح، وأزيزها، كما يحمل صوت اصطكاك الأسنان بسبب شدة البرد، أما حرف الراء المكرور، فيُجسِّد الصورة التكرارية لذلك الصوت، واستمرارية هبوب تلك الريح، وجاء تكرار هذين الحرفين مُوحياً بأثره في الحالة النفسية التي عاشها قوم عاد، فجاء إيحاء كلمة صرصر مُشعرا بالمعنى الذي اتسم بالعنف والشدة ،وهذا ما يجعل إحساسنا بالإيحاء يزداد، لأن تكرار حرف الصاد مع الراء يوحي بعظم المشهد، وخطورة الموقف في الآيات الثلاث؛ ولأن الراء من الأحرف التي تُحدث اهتزازا عند النطق بها وتُنتج موسيقى مصدرها التكرير".[1]

ج ـ قذف الرعب في قلوب اليهود وإخراجهم من حصونهم[2] وهزيمتهم.

وقد عبَّر عن هذا المعنى الحرف الاهتزازي (صَ ي صَ ي)

والصاد والياء كلمة واحدة مطابقة، وهي كل شيء يُتَحصَّن به. من ذلك تسميتهم الحصون صَياصِي، ثم شُبه بذلك ما يُحارِب ويتحصَّن به الديك وسمي صِيصية، وكذلك قَرن الثور يسمى بذلك ؛ لأنه يَتحصن ويحارب به. [3]

(١) في البحث الصوتي عند العرب .خليل إبراهيم ، ص٩٠.منشورات دار الجاحظ، بغداد، ١٩٨٣م.

(٢) (الحصن) المْوضع المنيع وجمعه حصون وأحصان وحَصنة. المعجم الوسيط .مادة(ح .ص .ن)،ج١ص ١٨٠. ومنه قوله تعالى:﴿ فِي قُرىً مُحَصَّنَةٍ﴾ [الحشر: ١٤] ، أي: مجعولة بالإحكام كالحصون، وتَحَصَّنَ: إذا اتخذ الحصن مَسكنا، ثم يتجوّز به في كلّ تحرّز، ومنه: درع حصينة، لكونها حصنا للبدن وفرس حِصَان: لكونه حصنا لراكبه. المفردات في غريب القرآن مادة(ح .ص .ن)،ص: ٢٣٩.

(٣)مقاييس اللغة . مادة(صَ. ى .ى).ج٣ص ٢٧٩.

وهو من فرائد القرآن فقد ورد مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴾ (١)

وفي هذه الآية بيان لما أخذ الله به يهود المدينة، من بنى قريظة وبنى النضير، الذين ظاهروا المشركين، وكانوا ظهرا لهم في هذا الكيد الذي أرادوه بالنبيّ صلى الله عليه وسلم والمسلمين يوم الأحزاب ،فهؤلاء اليهود، أنزلهم الله من صياصيهم، وأزالهم من أماكنهم التي تحصنوا فيها ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ} وملئها فزعا ورعبا، وأراهم أنهم قد أصبحوا في يد النبي والمسلمين بعد أن انقلب المشركون مدحورين، مذمومين(٢)

والصياصي: الحصون التي كان يتحصن فيها اليهود، بالمدينة. وكانت حصونا حصينة، يعيش فيها هؤلاء القوم، ويجدون في ظلها الحماية من كلّ عدو يريدهم، قبل الإسلام، وفي الإسلام. (٣)

يقول الشيخ ابن عاشور(ت:١٣٩٣هـ) في معنى هذه الآية:" والإنزال: الإهباط، أي: من الحصون أو من المعتَصمات كالجبال.(٤)

والتعبير (بالصياصي) يشير إلى معان منها:

أولا: الدلالة على ارتفاع الحصون ومنَعتها. يقول الإمام ابن كثير:" ﴿مِن صَيَاصِيهِم﴾ يعني: حُصونهم، ومنه سميت صَياصي البقر، وهي

(١) سورة الأحزاب الآيتان: ٢٥، ٢٦.
(٢) انظر :التفسير القرآني للقرآن. ج١١ص ٦٨٤.
(٣) التفسير القرآني للقرآن .ج١١ص ٦٨٥.
(٤) التحرير والتنوير.ج٢١ص ٣١٢.

قرونها؛ لأنها أعلى شيء فيها. والصياصي: الحصون، وأصلها أنها جمع صِيصَيَةٍ وهي القرن للثور ونحوه.(١)

ثانياً: اختيار لفظ (صياصي) فيه دلالة على لجوئهم إلى تلك الحصون وامتناعهم بها كما تمتنع البقر بقرونها ."لأنها حصونها التي تدفع بها العدو عنها.(٢) يقول الماوردي:" وسميت بذلك لامتناعهم بها ، ومنه سميت قرون البقر صياصي لامتناعها بها ، وسميت شوكة الديك التي في ساقه صيصية".(٣)،"فلما كان القَرن يُدافِع به الثور عن نفسه سَمي المَعقل الذي يعتصم به الجيش صِيصَيَة والحصون صَياصِي".(٤)

ثالثاً: فيه إشارة إلى طبيعة اليهود وهى الجُبن والرعب عند المواجهة ،فإنهم يتحصنون في هذه (الصياصي) ظنا منهم أنها تحميهم. وهو ما بيَّنه قوله تعالى:﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ مَا ظَنَنتُمۡ أَن يَخۡرُجُواْۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيۡدِيهِمۡ وَأَيۡدِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴾(٥)

فهم لا يقدرون على مقاتلة المؤمنين جَمِيعاً مجتمعين متساندين، إِلَّا كائنين فِي قُرىً مُحَصَّنَةٍ بالخنادق والدروب أَوْ مِنْ وَراءِ جُدُرٍ دون أن يظهروا لهم ويبارزوهم، لقَذْف الله الرعبَ في قلوبهم، ومزيد رهبتهم منكم، وتأييد الله تعالى ونصره للمؤمنين.(٦)قال تعالى:﴿ لَأَنتُمۡ أَشَدُّ رَهۡبَةٗ فِي

(١) تفسير ابن كثير .ج٦ص ٣٩٨.
(٢) التفسير القرآني للقرآن .ج١١ص ٦٨٥.
(٣) النكت والعيون .ج٤ص ٣٩٣.
(٤)النكت والعيون .ج٤/ ٣٩٣.
(٥) سورة الحشر الآية: ٢.
(٦)الكشاف .ج ٤ص٥٠٧. ،روح المعاني .ج١٤ص ٢٥١.

صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴾ (١)

ولعل اختيار الحرف الاهتزازي (ص ى ص ى) لما في حرف الصاد من معان تعبر عن التحصن والامتناع والصفات المنطبقة على اليهود، فحرف الصاد: "يعبِّر عن كونِ الشيء غليظاً قويّاً في ذاته خالصًا مما يخالطه –أو نفاذٍ كذلك. وذلك أخذا من "صَياصي البقر: قرونها، واحدها صِيصة. والصِّيص من ثمر النخل: الذي لا يشتد نواه أو لا يكون له نوى أصلا، والصِيصاء– بالكسر: حَبُّ الحنظل الذي ليس في جوفه لبٌّ، الرجل الصُوص – بالضم– وهو اللئيم المنفرد بطعامه لا يؤاكِل أحداً. ومن قولهم: بناء أصيص: محكَم، وناقة أصوَص: شديدة موثَّقة، وقد أَصَّت: اشتد لحمُها وتلاحمت ألواحها. وذلك المعنى للصادِ يلتقي مع الشعور بتكونها بخروج هواء الزفير حُزْمَةً كثيفة (غليظة) ممتدة بين اللسان الذي يتقعر حينئذ، وأعلى الحنك الذي يصير كالطبق له، فيحس الناطق بها حزمة كثيفة (غليظة) من الهواء الخالص، لا يخالطها زفير الجهر، ينفذ من الفم بأثر الإطباق".(٢)

أما الياء فإنها تشير إلى أن هذه (الصياصي) كانت ديارهم ومقار إقامتهم الدائمة كون الياء: "تعبِّر عن اتصال الممتد شيئاً واحداً، وعدم تفرُّقه أو تسيُّبه. وذلك أخذًا من "الإيَاء– كسَماء وبناء ورِضا: شُعاع الشمس (يمتد كالخيط). وآية الرجل: شخصه (جِرم وكتلة واحدة). وقولهم:

(١) سورة الحشر الآية: ١٤.
(٢) المعجم الاشتقاقي المؤصل. مادة (صلل - صلصل). ج١ص ٣١.

تأيّا: توقف وتَمكُّث تلبّث وتحبّس، تأنّى في الأمر. ليس ذلك المنزل بدارِ تَئِيَّة أي: بمنزلةِ تلبُّثٍ وتحبُّس. وكل ذلك تماسك وعدم تسيب. وهو من صور الاتصال. ومعنى الياء هذا يلتقي مع الشعور بتكونها بامتداد الزفير، مارّاً – دون أن ينقطع– من المضيق الذي يسببه ارتفاع مقدم اللسان، مقترباً مما يوازيه من الحنك.(١)

ثامناً: أطوار خلق آدم عليه الصلاة والسلام.

وقد عبَّر عن هذه الدلالة الحرف الاهتزازي (صَ ل صَ ل)

والصاد واللام أصلان: أحدهما يدل على ندى وماء قليل، والآخر على صوت. فأما الأول فالصَلَّة، وهي الأرض، تسمى الثرى لنداها... وأما الصوت فيقال: صَلَّ اللجام وغيره، إذا صَوَّت. فإذا كثر ذلك منه، قيل: صَلصَل. وسمي الخزف صَلصَالا لذلك ؛ لأنه يُصوِّت ويُصلصِل".(٢)

قال الخليل:" صَلَّ اللِّجامُ صَليلاً اذا تَوَهَّمْتَ في صَوتِه مَدّاً، وإن تَوهَّمْتَ تَرجيعاً قلت: صَلصَلَ، وكلُّ ذي صَلابةٍ يُصَلْصِلُ. وتَصِلُ البَيْضَ اذا نَقَفْتَها بالسُّيُوف. والخَزَفُ صِلْصال لتَصَلصُلِه اذا حُرِّك، فاذا طُبِخ فهو فَخّار، وخُلِقَ آدَمُ من طينٍ، ومَكَثَ في الشَّمس أربعينَ يوماً حتى صارَ صَلْصالاً. والصَّلْصَلَة والصُّلْصُلَةُ: بقيَّةُ الماءِ في الغَديرِ".(٣)

والمعنى المحوري لهذ المادة يدل على "تماسكٌ أو امتساكٌ في الأثناء بامتداد مع دقة جِرم أو ورقةٍ وحدّة أَثَر كتماسك أثناء الصلصال عند جفافه مع تصويته"(٤)

---

(١)المعجم الاشتقاقي المؤصل. . مادة (صلل - صلصل). ج١ص٣٩.

(٢) مقاييس اللغة . مادة(صَ .ل.ل).ج٣ص ٢٧٦،المفردات في غريب القرآن . مادة(صَ ل .ل). ص ٤٨٨.

(٣) العين . باب الصاد واللام ،مادة(صَ ل).ج٧ ص ٨٤.

(٤)المعجم الاشتقاقي المؤصل. مادة (صلل - صلصل). ج٣ص ١٢٤١.

ومصدر (فعلل) من المضاعف يجوز فيه الفتح والكسر نحو قَلْقل قلقالا، وقد يُراد بالمفتوح اسم الفاعل نحو صَلصَال بمعنى مُصلصِل[١]

وقد ورد هذا الحرف الاهتزازي في السُنَّة معبرا عن الصوت المتردد ففي حديث بَدء الوحي سُئِل رسول الله، كيف يأتيك الوحي؟ فقال صلى الله عليه وسلم: (أحيانا يأتيني مثل صَلصَلة الجَرَس، وهو أشدُّه عَلي، فَيُفْصَمُ عني وقد وعيت عنه ما قال)[٢] ،والصلصلة :"صوت الحديد إذا حُرِّك. يُقال صل الحديد، وصلصل. والصَلصَلة أشَدُّ من الصليل".[٣]

وقد ورد هذا الحرف الاهتزازي في القرآن الكريم في أربعة مواضع في سياق الحديث عن خلق آدم عليه الصلاة والسلام.

الأول: قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾.[٤]
الثاني: قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾.[٥] **الثالث**: قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾.[٦] **الرابع**: قوله تعالى: ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ﴾.[٧]

---

(١) روح المعاني. ج١١ص ١٥٥.
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه . كتابُ بَدْءِ الوَحْيِ . باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؟. حديث (٢).ج ١ص ٦.
(٣)النهاية في غريب الحديث والأثر ج٣ص ٤٦.
(٤) سورة الحِجْر الآيتان: ٢٦، ٢٧.
(٥) سورة الحِجْر الآيتان: ٢٨، ٢٩.
(٦) سورة الحِجْر الآيتان: ٣٢، ٣٣.
(٧) سورة الرحمن الآية: ١٤.

وتَعرض هذه الآيات قصة خلق آدم، وبيان المادة التي خُلق منها وهى الصلصال وهو" الطين اليابس الذي يُصلصِل عند نَقره، المُتخذ من الطين الرطب الأسن.[١]،فقوله تعالى: ﴿مِن صَلصَال﴾ أي خُلق آدم عليه السلام من:" الطين اليابس الذي يُصلصل وهو غير مطبوخ، وإذا طبخ فهو فخار. قالوا: إذا توهَّمْت في صوته مدّا فهو صليل، وإن توهمت فيه ترجيعاً فهو صلصلة".[٢]

فالصلصال: الطين الجاف، الذي له صلصلة وجَرْس عند احتكاك بعضه ببعض.. وهذا من طبيعة الطين اللازب، أي اللزج إذا جف. ولهذا شُبِّه بالفخار، وهو الطين الذي وضع في النار حتى احترق، وصار فخارا.[٣]

وحرف الصاد أسَلي مهموس، رخو مخرجه ما بين رأس اللسان وصفحتي الثنيتين العُلويتين .وهو من الحروف الشعورية غير الحلقية. وهذا الحرف إنما هو تفخيم لحرف السين وصفيريٌّ مثلُه، إلا أنه أملأ منه صوتاً، وأشد تماسكاً، فهو من أصوات الحروف كالرَصاص من المعادن رجاحةَ وزنٍ، وكالرخام الصقيل من الصخور الصمَّاء صلابة ونعومة ملمسٍ، وكالإعصار من الرياح، صرير صوت يقدح ناراً. ولقد منحته هذه الخصائص الصوتية شخصية فذَّة طغى بها على معاني معظم الحروف في الألفاظ التي تصدرها، ليعطيها من نقاء صوته صفاء صورة وذكاء معنى، ومن صلابته شدة وقوة وفاعلية، ومن طبيعته الصفيرية مادة صوتية نقية

(١) يقال: أَسِنَ الماء يَأْسَنُ، وأَسَنَ يَأْسُنُ: إذا تغيّر ريحه تغيّراً منكراً. المفردات في غريب القرآن .مادة(أ.س.ن) .ص: ٧٦.

(٢) تفسير الزمخشري .ج٢ص ٥٧٦.

(٣)التفسير القرآني للقرآن. ج١٤ص ٦٧١.

ما كان أصلحها لمحاكاة الكثير من أصوات الناس والحيوانات وأحداث الطبيعة.[١]

فتكرار الصاد مع اللام فيه دليل على الصلابة والتماسك والتراص بشكل قوي والشدة التي يكون عليها الطين في هذه الحالة تشبيها له بصلصلة الحديد، إذ يتناسب صوته مع صفير الصاد وحدته، فالصاد "تُعبِّر عن امتداد بغِلَظ، واللام تُعبِّر عن امتداد مع تميز أو استقلالية، والفصل منهما يعبِّر عن تماسك الأثناء جفافًا وغلظًا كما في الصَلصال يابس الطين في (صلصل) ".[٢]إلا أنه لما اقترن بصوت اللام الانحرافي وهو من حروف الرخاوة لكنه انحرف بين اللسان مع الصوت إلى الشدة فلم يعترض في منع خروج الصوت اعتراض شديد ولا خرج معه الصوت كله خروجه مع الرخو فسُمي منحرفا لانحرافه عن حكم الشديد وعن حكم الرخو فهو بين صفتين، فصوت اللام إذن كان متجها نحو الشدة ثم انحرف عنها، وكذلك الصلصال كان متجها لأن يكون فخارا لو مسته النار. يقول الزمخشري:" الصلصال الطين اليابس الذي يُصلصل وهو غير مطبوخ ، وإذا طبخ فهو فخار"[٣] فلا هو طين لازب هش ولا هو فخار صلب شديد وإنما هو بينهما، فلو كان فخارا لكان أشد وأصلب وكان صوته أصدع ولكن اقتضت الحكمة الإلهية أن يكون شديدا وصلبا دون أن تغشاه النار لأنه خلق منه الإنسان ، أما النار فخُلق منها الجان.

تاسعاً: نعمة آيتي الليل والنهار.

(١) خصائص الحروف العربية ص٤٨.

(٢)المعجم الاشتقاقي المؤصل . ج٣ص ١٢٤٢.

(٣)الكشاف عن حقائق التنزيل .ج٢ص ٥٧٦.

وقد عبر عن هذه الدلالة الحرف الاهتزازي (عَس عَس)

والعين والسين أصلان متقاربان: أحدهما الدنو من الشيء وطلُبه، والثاني خفة في الشيء. فالأول العَس بالليل، كأن فيه بعض الطلب. قال الخليل: العس: نَفْض الليل عن أهل الرِيبة. يقال عس يَعُس عسا. وبه سُمي العَسس الذي يطوف للسلطان بالليل. وَالْعَسَّاسُ: الذئب، وذلك أنه يَعس بالليل. ويقال: عسعس الليل، إذا أقبل. وعسعست السحابة، إذا دنت من الأرض ليلا. ولا يقال ذلك إلا ليلاً في ظُلمة".(١)

وهذا الحرف الاهتزازي من فرائد القرآن حيث ورد مرة واحدة في سياق القَسَم بآية من آيات الله ،وظاهرة من أهم الظواهر الطبيعية ذات الأثر العظيم في الكون والحياة والإنسان(٢)،وهى تعاقب الليل والنهار ، عندما تشرق الشمس وتغيب ، ويطول الليل والنهار أو يقصر، وفقًا لإرادة الله ، فتختلف الفصول الأربعة ، وهو ما أثبت العلم أنه يحدث نتيجة تعاقب الليل والنهار. قال تعالى:﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ١٧ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾ .(٣)

---

(١) مقاييس اللغة .ج٤ص ٤٢.

(٢) يدل على ذلك قوله تعالى:﴿ وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيۡنِۖ فَمَحَوۡنَآ ءَايَةَ ٱلَّيۡلِ وَجَعَلۡنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبۡصِرَةٗ لِّتَبۡتَغُواْ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكُمۡ وَلِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ وَكُلَّ شَيۡءٖ فَصَّلۡنَٰهُ تَفۡصِيلٗا ﴾ [الإسراء: ١٢] ،وقوله سبحانه:﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ وَٱسۡجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴾ [فصلت: ٣٧] ،هذا بالإضافة لكثرة ما ورد في القرآن الكريم من آيات تتحدث عن نعمتي الليل والنهار، فقد ذُكر الليل (أربعا وسبعين مرة) راجع المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، ص٦٥٦ ،وذُكر النهار(سبعاً وخمسن مرة)،راجع المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، ص ٧٢٠.

(٣) سورة التكوير الآيتان: ١٧، ١٨.

فقد ذكر الله عز وجل في سورة التكوير المكية،" آيات وعظات وعِبرا، وجعل التفكير في عجائب صُنعه وعظيم خلقه من العبادة العظيمة؛ فإنه سبحانه خلق هذا الكون العظيم بنظام دقيق متناسق لا خلل فيه ولا اضطراب، وذلك من أعظم آيات الله عز وجل"[١] ومن أبرزها آية تعاقب الليل والنهار

ولما كان لفظ عسعس مشتركا أو من الأضداد فهو يعنى(أقبل وأدبر)، فقد وجه المفسرون أقوالهم في تفسير الآية وفق ما حوته اللفظة من معانٍ لغوية.

قال أبو حيان(ت: ٧٤٥هـ) :"عسعس بلغة قريش، قال الحسن: أقبل ظلامه، ويُرجحه مقابلته بقوله:﴿ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾ ،فهما حالتان. وقال المبرد: أقسم بإقباله وإدباره وتنفُّسه كونه يجيء معه رَوح ونسيم، فكأنه نَفَس له على المجاز."[٢]

ويقول الشيخ ابن عاشور(ت: ١٣٩٣هـ):"عسعس الليل عَسعاسا وعَسعسة، عن ابن عباس: أقبل بظلامه، وعنه أيضا: أدبر ظلامه، قاله زيد بن أسلم وجزم به الفراء وحكى عليه الإجماع. وقال المبرد والخليل: هو من الأضداد يُقال: عسعس، إذا أقبل ظلامه، وعسعس، إذا أدبر ظلامه. قال ابن عطية: قال المبرد: أقسم الله بإقبال الليل وإدباره معا ".[٣]

والمتدبر للقَسَم في هذه الآية يظهر له:" أنه سبحانه لا يُقسم بشيء في موضع دون غيره، إلا لغرض يتعلق بهذا الموضع، يكون بين

(١) تفسير القرآن العظيم - جزء عم .ص: ٤٣.
(٢) البحر المحيط في التفسير.ج.١٠ص ٤١٨.
(٣) أنظر:التحرير والتنوير.ج.٣٠ص ١٥٤.

المقسَم به والمقسَم عليه مناسبة وارتباط، وقد يظهر ذلك جليا، وقد يكون خفيا".[١] والسر في إيثار هذ الحرف (عَس عَس) " لإفادته كِلا حالين صالحين للقَسَم به فيهما لأنهما من مظاهر القدرة إذ يَعقب الظلام الضياء ثم يعقب الضياء الظلام، وهذا إيجاز. وعطف عليه القَسم بالصبح حين تنفُسه، أي انشقاق ضوئه لمناسبة ذِكر الليل، ولأن تنفس الصبح من مظاهر بديع النظام الذي جعله الله في هذا العالم. والتنفس: حقيقته خروج النَفَس من الحيوان، استعير لظهور الضياء مع بقايا الظلام على تشبيه خروج الضياء بخروج النَفَس على طريقة الاستعارة المصرحة، أو لأنه إذا بدا الصباح أقبل معه نسيم فجعل ذلك كالتنفس له على طريقة المكنية بتشبيه الصبح بذي نَفَس مع تشبيه النسيم بالأنفاس".[٢]

ولو نظرنا إلى الأصوات المفردة التي تكوَّن منها الحرف المضاعف(عَس عَس) وهما صوتا العين والسين ،فالعين من حروف الحلق، أما السين فهو حرف أسناني لثوي ،وهذا التباعد في المخرج يُشعرك بتباعد الليل و النهار، فهما متضادان فضلا عن أن العين حرف مجهور متوسط بين الشدة و الرخاوة وبهذا نجد أن تراوح صوت العين بين الجهر والرخاوة يُعطي إيحاء بدخول الصبح بما يحمله من أصوات هادئة، فالجهر يناسب الصبح. كما أن الهمس والخفاء في السين يناسب الليل وبذلك تكون هذه اللفظة بجَرسها الصوتي قد رسمت مشهد الهزيع الأخير من الليل في وقت قد تداخل فيه ضوء الفجر الذي أقبل بقوة مع ظلام الليل الذي أدبر بهدوء.[٣]

---

(١)أضواء البيان .ج ٨ ص٤٤٣.
(٢)التحرير والتنوير ج٣٠ص ١٥٤.
(٣) دلالات الظاهرة الصوتية في القران الكريم .ص ٢٤٨.

ومن الدلالة الإعجازية البلاغية لحرف(عَس عَس) استعمال القرآن له في تشخيص المعنويات حيث" يهب الجماد حركة والمعنويات تجسيماً، والخفيات ظهوراً، وكل ذلك في لمحات ساحرة من فن القول وجمال التصوير، فالليل والنهار والريح والصباح من الأمور المعقولة في أذهان الناس ،وهكذا كان الواقع. الليل والنهار والصبح، ولكنها في القرآن أنفس حية، وأجسام تتحرك وتتصرف تصرف الأحياء[١]،حتى أنك ترى الليل والنهار يتسابقان لا يكفان عن الحركة كل منهما يبغى الآخر:﴿ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا﴾".[٢]

كما تضمن هذا الحرف الاهتزازي (عس عس) الإشارة إلى "حقيقتين علميتين من حقائق الأرض، وهما: كُرويتها ،ودورانها حول محورها أمام الشمس، وهي من الدلالات القاطعة على صدق القرآن الكريم، وعلى سلامته من أي نقص خاصة وقد نزل في زمن سادت الخرافات والأساطير، وغلبت على أذهان الناس، فرأوا في الحركة الظاهرية للشمس أن الأرض ثابتة والشمس هي التي تدور من حولها، ورأوا في أبعاد الأرض الكبيرة شهادة على انبساطها وعدم تكورها، ولم تثبت كروية الأرض ودورانها حول محورها أمام الشمس إلا بعد تنزل القرآن الكريم بعدد من القرون المتطاولة، وهذا السبق القرآني بأعداد من الحقائق العلمية هو ما يعرف باسم "الإعجاز العلمي في القرآن الكريم".[٣]

---

(١) يدل عليه قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ۝١٧ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾[سورة التكوير الآيتان: ١٧، ١٨]،وقوله تعالى:﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ ﴾ [سورة الفجر الآية: ٤]،وقوله تعالى:﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ ﴾ [سورة الأنعام: ٧٦].

(٢)خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية .ج١ص ٤٨١.

(٣) دكتور: زغلول النجار، مقال بعنوان :من أسرار القرآن ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ۝١٧ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾ (التكوير: ١٧، ١٨)،موقع (zaghloulalnaggar.com)،بتاريخ ٢٠٢١/٠١/٢٩م.

كما أشار إلى دلالة إعجازية علمية كشفها العلم الحديث تثبت أن "الليل والنهار آيتان كونيتان عظيمتان من آيات الله في الخلق، تشهدان بدقة بناء الكون، وانتظام حركة كل جرم فيه، وإحكام السنن الضابطة له، ومنها تلك السنن الحاكمة لحركات كل من الأرض والشمس، والتي تتضح بجلاء في التبادل المنتظم للفصول المناخية، والتعاقب الرتيب لليل والنهار، وما يصاحب ذلك كله من دقة وإحكام بالغين. فنحن نعلم اليوم أن التبادل بين الليل المظلم والنهار المنير هو من الضرورات اللازمة للحياة على الأرض، ولاستمرارية وجود تلك الحياة بصورها المختلفة حتى يرث الله تعالى الأرض ومن عليها".(١)

عاشراً: معجزة هُدهُد سليمان عليه السلام.

وقد عبر عن هذه الدلالة الحرف الاهتزازي (هُد هُد)

فقد أيد الله عز وجل سليمان عليه السلام بمجموعة من المعجزات منها تسخير الجن والطير ، وإدراكه منطق الطير، والنمل، وقصته مع ملكة سبأ وقومها، وفيها تظهر نعمة اللّه على داود وسليمان عليهما السلام وقيامهما بشكر نعمة العلم والملك والنبوة ، وتظهر فيها كذلك أصول العقيدة التي يدعو إليها كل رسول.

وفى هذا السياق ورد الحرف الاهتزازي (هُ د هُ د)،وهومن فرائد القرآن حيث ورد مرّة واحدة في قوله تعالى:﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيۡرَ فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ أَمۡ كَانَ مِنَ ٱلۡغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابٗا شَدِيدًا أَوۡ لَأَاْذۡبَحَنَّهُۥٓ أَوۡ لَيَأۡتِيَنِّي بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيۡرَ بَعِيدٖ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ وَجِئۡتُكَ مِن سَبَإِۭ بِنَبَإٖ يَقِينٍ﴾(٢)

(١) د: زغلول النجار، آية الليل، ص ٢.
(٢) سورة النمل الآيات: ٢٠.٢٢.

والعرب تقول: هَدهَد الطَّائِرُ قرقر ،وهَدهَد الشَّيْء حَرَّكه ،وَيُقَال هَدهَدت الْأُم صبيها حركته حَرَكَة رَفِيقَة منظَّمة لينام ،وَهَدهَد فُلَان الشَّيْء حدره من علو إِلَى سفل ،وَيُقَال يُهدهَد إِلَيّ كَذَا يُخيل إِلَيّ، والهُداهد الهُدهد ،وجمعه هداهد وهداهيد، واللطف يُقَال مَا فِي وده هداهد وَيُقَال فَحل هداهد كثير الهدهدة والهدر، والهُدهُد جنس طير من الجواثم الرقيقات المناقير لَهُ قنزعة على رَأسه وكل ما يُقرقر من الطير وَالْحمام الْكثير الهدهدة (الهدهدة) صَوت الهدهد وَصَوت هدير الْحمام"[١]

والهُدهُد: "نوع من الطير وهو ما يُقرقر، وفي رائحته نتن وفوق رأسه قُزعة سوداء، وهو أسود البراثن، أصفر الأجفان، يقتات الحبوب والدود، يرى الماء من بُعد ويُحس به في باطن الأرض، فإذا رفرف على موضع عُلم أن به ماء، وهذا سبب اتخاذه في جند سليمان. قال الجاحظ: يزعمون أنه هو الذي كان يدل سليمان على مواضع الماء في قعور الأرضين إذا أراد استنباط شيء منها".[٢]

وكان الطير من جملة جند سليمان عليه السلام ،لأن كثيرا من الطير صالح للانتفاع به في أمور الجُند فمنه الحَمَام الزاجل، ومنه الهُدهُد أيضا لمعرفة الماء، ومنه البزاة والصقور لصيد المَلِك وجنده ،ولجلب الطعام للجند من الصيد إذا حل الجند في القفار أو نفد الزاد. وللطير جنود يقومون بشؤونها. وتفقُّد الجُند من شعار المَلك والأمراء وهو من مقاصد حشر الجنود وتسييرها. والمعنى: تفقد الطير في جملة ما تفقده، فقال لمن يلون أمر الطير: ما لي لا أرى الهدهد، ومن واجبات ولاة الأمور تفقد أحوال الرعية وتفقد العمال ونحوهم بنفسه أو بمن يكل إليه ذلك ".[٣]

---

(١) المعجم الوسيط . مادة(هد هد).ج٢ص ٩٧٨.
(٢) التحرير والتنوير. ج١٩ص ٢٤٥.
(٣) أنظر: التحرير والتنوير.ج١٩ص ٢٤٥.

وإذا تدبرنا سر اختيار حرفي (الهاء والدال) وتضعيفهما لرأينا أن "صوت الهاء مهموس رخو والإيحاءات الصوتية للهاء تختلف بحسب كيفية النطق بها:

١- فإذا لُفِظَ صوتها مشبَّعاً مشدداً عليه، أوحت الاهتزازات المتوتِّرة بالاضطراب والاهتزاز والسَحق والقطع والكسر والتخريب، وبما يماثلها أيضاً من الأصوات الشديدة التوتر العالية النبرة. وفي هذه الحال يكون مخرج صوت الهاء في أول الحلق داخلاً قبل أي حرف آخر.

٢- وإذا لُفِظَ صوت الهاء باهتزازات رخوة مضطربة، أَوحى بمشاعر إنسانية من حُزن ويأس وضياع وبما يحاكيها من الأصوات الرقيقة، ومخرجه في هذه الحال يكون بعد العين والحاء.

٣- وإذا لُفِظَ صوتها مخففاً مرققاً مطموس الاهتزازات، أوحَى بأرق العواطف الإنسانية وأملكها للنفس، فيكون مخرجه أيضاً في أول الحلق، أقرب ما يكون من جوف الصدر.

والاهتزازات الصوتية للهاء، تحدث في الحلْق قريباً من جوف الصدر، لا أرق أنسجة، ولا أكثر حساسية. ولذلك فإن هذا الموقع الممتاز لمخرجها قد جعل اهتزازاتها الصوتية أكثر عرضة للتأثّر المباشر بمختلف الانفعالات. التي تجيش في الصدر، من حِدَّة وقساوة، أو حزن وأسى، أو تهكم ،وهو من الأصوات التي فيها رقة أو ضعف أو تدل على حزن بما يتوافق مع صوت الهاء مرققاً مخففاً".[١]

(١) خصائص الحروف العربية ص١٩٦.

الحادي عشر: وسوسة الشيطان وحديث النفس.

وقد عبَّر عن هذه الدلالة الحرف الاهتزازي (وَ س وَ س)

والوسوسة والتزيين هي سلاح إبليس الذي يُحارب به ابنَ آدم ، والْوَاوُ وَالسِّينُ: كَلِمَةٌ تَدُلُّ عَلَى صَوْتٍ غَيْرِ رَفِيعٍ. يُقَالُ لِصَوْتِ الْحَلْيِ: وَسْوَاسٌ. وَهَمْسُ الصَّائِدِ وَسْوَاسٌ. وَإِغْوَاءُ الشَّيْطَانِ ابْنَ آدَمَ وَسْوَاسٌ.(١)، والوِسواس بالكسر مصدر، والاسم بالفتح، مثل الزِلزال والزَلزال، ومن معاني الوَسْوَسَةُ: حديث النفس. يقال: وَسْوَسَتْ إليه نفسه وَسْوَسَةً ووِسْواساً بكسر الواو. (٢)والوَسواس اسم الشيطان: قوله تعالى:﴿ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾ يُقال: وَسْوَسَ له، ووَسْوَسَ إليه".، والخَطْرةُ الرّديئة، وأصله من الوَسْوَاسِ، وهو صوت الحُلي، والهمس الخفيّ".(٣) وإغواء الشيطان لابن آدم هو وسواس، وهو همزات الشياطين(٤) ونزغاته (٥).تقول العرب: وسوس إلي، أو وسوس في صدري.

وقد ورد هذا الحرف الاهتزازي في القرآن الكريم في أربعة مواضع.

---

(١) مقاييس اللغة .مادة٦(وَ. س. س) ،ج٦ص ٧٦.

(٢)الصحاح . مادة(و.س.و.س).ج٣ص ٩٨٨..بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز. ج٥ص ٢٠٨.

(٣)المفردات في غريب القرآن . مادة(و.س.و.س).ص: ٨٦٩.

(٤) ويدل عليه قوله تعالى:﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴾[المؤمنون الآيتان: ٩٧، ٩٨].

(٥) ويدل عليه قوله سبحانه محذراً من وسوسة الشيطان ونزغاته :﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ [الأعراف الآيتان: ٢٠٠، ٢٠١] ، يعنى إن وسوس إليك الشيطان عند الغضب بما لا يحلّ. ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ﴾ لقولك ﴿عَلِيمٌ﴾ بما يجب في ذلك . انظر الكشاف .ج٢ص١٩٠.

الأول: في قوله تعالى:﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴾.(١)

فتكرار حرفي الواو والسين في كلمة (وَس وَس) ورد هنا في سياق الحديث عن قصة آدم وحواء عليهما السلام وإغواء الشيطان لهما وخروجهما من الجنة، وتوحي كلمة (وس وس) بالصراع الذي يحدث بين الإنسان وبين الشيطان، فهو يوغر صدر الإنسان بالشهوات، والملذات في شعور خفي يُبعده عن منهج الرحمن.

الثاني: في قوله تعالى:﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴾.(٢)

وفي معنى هذه الآية يقول الزمخشري(ت: ٥٣٨هـ):" فإن قلتَ: كيف عَدَّى وسوس تارة باللام في قوله:﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾(٣) وأخرى بإلى؟ قلتُ: وسوسة الشيطان كوَلوَلة الثكلى ووَعوَعة الذئب ووَقوَقة الدجاجة، في أنها حكايات للأصوات وحكمها حكم صوت وأجرُس".(٤)

ووسوسة الشيطان لآدم عليه السلام أنه :"كلمه كلاما خفيا فسمعه منه آدم وفهمه. والدليل على أن الوسوسة المذكورة في هذه الآية الكريمة كلامٌ من إبليس سمعه آدم وفهمه أنه فسَّر الوسوسة في هذه الآية بأنها قول، وذلك في قوله تعالى:﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ

(١) سورة الأعراف الآيتان: ١٩ .٢٠.
(٢) سورة طه الآية: ١٢٠.
(٣) سورة الأعراف من الآية: ٢٠.
(٤) الكشاف .ج٣ص ٩٣. ،وأضواء البيان. ج٤ص ١١٠.

عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴾.[١] ،.فالقول المذكور هو الوسوسة المذكورة. وقد أوضحه في سورة الأعراف وبيَّن أنه وسوس إلى حواء أيضا مع آدم، وذلك في قوله تعالى ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ﴾[٢] ، "لأن تصريحه تعالى في آية الأعراف هذه بأن إبليس قاسمهما أي: حلف لهما على أنه ناصح لهما فيما ادعاه من الكذب دليل واضح على أن الوسوسة المذكورة كلام مسموع".[٣]

فمعنى (وسوس) في هذه الآية " إذا تكلم كلاماً خفياً يكرره. ومنه وسوس الحلىّ، وهو فعل غير متعدّ، كوَلوَلَت المرأة ووَعوَع الذئب، ورجل موسوِس- بكسر الواو- ولا يقال موسوَس بالفتح، ولكن موسوَس له، وموسوَس إليه، وهو الذي تُلقى إليه الوسوسة. ومعنى وسوس له: فعل الوسوسة لأجله، ووسوس إليه: ألقاها إليه .

الثالث: في قوله تعالى:﴿ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴾.[٤]

الوسواس: اسم الشيطان ،وهو كثير الوسوسة ليُضل بها الناس[٥] ،فالشيطان يُطيف بالإنسان من جميع نواحيه ليوسوس له،يقال:" طَيْفٌ

(١) سورة طه الآية: ١٢٠.
(٢) سورة الأعراف الآيات: ٢٠ – ٢٢.
(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن .ج٤ص ١١٠.
(٤) سورة الناس الآيات: ٤ ٦.
(٥) تفسير القرطبي .ج٧ص ١٧٨.، أضواء البيان.ج٧/ ٢٧.

من الشيطان، كقولهم: لَمَمٌ من الشيطان"[١]. ولذا عبَّر القرآن عنه بالطائف. قال تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴾[٢] والطّواف بالشَّيْء: اسْتِيعَاب نواحيه بالسعي حوله. تَقول: طفت بِالْبَيْتِ: إِذا دُرتَ حوله. والطائف فِي اللُّغَة مَا طَاف بالإنس وَالْجِنّ من الجنان".[٣] ،ووسوسته بمعنى الإلقاء "وسوس إِلَيْهِ الشَّيْطَان: اي أَلْقى فِي نَفسه شرا. يُقَال لما يَقع فِي النَّفس من عمل الْخَيْر إلهام، وَلما يَقع من الشَّرّ وَمَا لَا خير فِيهِ وَسواس".[٤]وَمِنْه قَوْله تَعَالَى:﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴾ [٥]

والواو لينة جوفية وهي للفعالية، والانفعال المؤثِّر في الظواهر، كما أن صوت الواو الحاصل من تدافع الهواء في الفم يُوحي بالبعد إلى الأَمام.[٦]وقد جاء حرف السين صامتا مهموسا لثويا، و"حرف السين هو أحد الحروف الصفيرية ، صوته المتماسك النقي يوحي بإحساس لمسيٍّ بين النعومة والملاسة، وبإحساس بصري من الانزلاق والامتداد، وبإحساس سمعي هو أقرب للصفير".[٧]

(١)الصحاح.ج٤ص ١٣٩٧. ،نزهة الأعين النواظر ،ص: ٤١٧.

(٢) سورة الأعراف الآية: ٢٠١.

(٣) نزهة الأعين النواظر ص: ٤١٦ .، التبيان في إعراب القرآن .ج٢ص ٩٠٦.

(٤) غريب القرآن للسجستاني . ص: ٤٨٣ ، إعراب القرآن للنحاس ج٢ص ٨٦.

(٥) سورة الحج الآية: ٥٢ .

(٦) انظر: خصائص الحروف العربية. ص٩٦.

(٧) خصائص الحروف العربية. ص١٠٩.

فتكرر المقطع (وَس وَس) بانتهاء الصوت المهموس يدل على الهمس في الإغواء، وإيحاؤها يدل على الإغراء والإغواء[١] ،وفيه دلالة على تَخفِّي الشيطان حالة إحداث الوسوسة، وهذا الصوت جاء اختياره دقيقا لإبراز الوسوسة التي يُخافِت بها أهل الجرائم.

فالمتأمل لهذه الكلمة وبنائها المكوَّن من مقطع مكرر يجد مدى علاقة اللفظة بتكرار الفعل، والحدث على ارتكاب المعصية، وتزيين القبيح وتيسيره، فالكلمة ومشتقاتها توحي بارتكاب المحظور، وهذا الإيحاء بالإغواء يعتمد على الضعف الموجود في فطرة الإنسان.

وهذا التكرار الصوتي يُحاكي عملية الوسوسة بما تشتمل عليه من إلحاح وإغراء بالشيء، ويقتضي تكرار الإيعاز بشيء مرة بعد مرة [٢]، والحثّ على ارتكاب المعصية، وتزيين القبيح وتيسيره بخطوات متتالية، ولذا جاءت الآيات الكريمة تنبّه على ذلك في أكثر من موضع منها قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴾[٣]

---

(١) في سورة الناس عدو واحد خَفِي هو الشيطان ، وهو أخطر على الإنسان من باقي الأعداء، واللافت للنظر في هذه السورة أن الإنسان يستعيذ بثلاثة أسماء من أسماء الله الحسني من عدو واحد هو الشيطان﴿ قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴾ [سورة الناس: ١ - ٣] ،وذلك لشدة خطر الشيطان وسوسته، أما في سورة الفلق، فيستعيذ المسلم باسم واحد من أسماء الله من أعداء كُثُر:﴿ قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ﴾ [سورة الفلق الآية: ١]، لأن خطورتهم على الإنسان أقل شأنا من خطر الشيطان.

(٢) الدلالة النفسية للألفاظ في القرآن الكريم .ص: ١٤٨.

(٣) سورة النورالآية:٢١.

الرابع: وسوسة النفس. في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾.(١)

ومعنى (تُوَسوَس)هنا أن النفس" تُوسوس وتتكلم كلاما خفيا همسا. ومصدره الوَسواس والوَسوسة أطلقت هنا مجازا على ما يجول في النفس من الخواطر والتقديرات والعزائم لأن الوسوسة أقرب شيء تشبَّه به تلك الخواطر ،وأحسن ما يستعار لها لأنها تجمع مختلف أحوال ما يجول في العقل من التقادير ،وما عداها من نحو ألفاظ التوهم والتفكر إنما يدل على بعض أحوال الخواطر دون بعض".(٢)

وقد بين سبحانه في هذه الآية الكريمة أنه لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، "وأن السر والجهر عنده سواء، وأن الاختفاء والظهور عنده أيضا سواء ؛ لأنه يَسمع السر كما يسمع الجهر، ويعلم الخَفي كما يعلم الظاهر، وقد أوضح هذا المعنى في آيات أخر منها قوله تعالى: ﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴾(٣)، وغير ذلك من الآيات. (٤)

---

(١) سورة ق الآية: ١٦.

(٢) التحرير والتنوير.ج٢٦ص ٣٠٠.

(٣) سورة الرعد الآية: ١٠.

(٤) منها قوله تعالى: ﴿ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ [سورة طه الآية: ٧] ، وقوله تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ ۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ [سورة هود الآية: ٥]. وقوله تعالى:﴿ وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [سورة الملك الآيتان:١٣ . ١٤].

وفى هذه الآية دليل على إمكان البعث لأنه سبحانه قال: ﴿أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [١] "ثم أردف ذلك دليلا آخر على إمكانه ،وهو علمه بما في صدورهم وعدم خفاء شيء من أمرهم عليه، فإن من كان كذلك لا يبعد أن يعيدهم كرة أخرى "[٢]

وإذا كان ما ذكرت هو الذى أكرمني الله به ،وأعانني بتوفيقه على القيام به، فمن المؤكد أنه باتت المسألة بحاجة إلى شُكر المُنعم جل عُلاه ،والانتقال إلى الخاتمة.

(١) سورة ق الآية: ١٥.

(٢) تفسير المراغي .ج٢٦ص ١٥٩.

الخاتمـــــــة

وفيها أهم النتائج و أبرز التوصيات.

أولاً: النتائج.

خلُص البحث بفضل الله تعالى إلى النتائج الآتية:

١- تبين أن مفهوم الحروف الاهتزازية له أصوله عند علماء اللغة والبلاغة والتفسير وعلوم القرآن.

٢- أن الحروف الاهتزازية وردت في القرآن الكريم بأنماط مختلفة ومتنوعة محققة لمقاصده وتتماشى مع المعنى الذي تُعبِّر عنه فالصلة بين الحروف الاهتزازية ودلالتها في القرآن الكريم ظاهرة بارزة .

٣- اتضح أن الحروف الاهتزازية ذات أثر فعال في بيان المعنى وتجليته، فهي مظهر من مظاهر إعجاز القرآن.

٤- أن الحروف الاهتزازية في القرآن لها مزية في إعطاء الآيات القرآنية جَرسا موسيقيا له أثره على النفس والوجدان، ويتناسق مع سياق الآية وجوها المعنوي.

٥- من الإعجاز القرآني للحروف الاهتزازية استعمال القرآن لأصواتها، فجاءت صفة الصوت معبرة أصدق تعبير عن المعنى، فاختيار الحروف و تشبيه أصواتها بالأحداث المعبَّر عنها، جاءت مرتبة متسقة داخل الكلمة الواحدة بحسب المعنى المقصود.

٦- تبين من البحث أنّ للحروف الاهتزازية في القرآن الكريم قيمة صّوتيّة لها أثر في استدعاء المعنى ، فقيمة الصوت تكمن أهميتها فيما تحمله من معانى.

٧- أن الحروف الاهتزازية وثيقة الصلة بالصّوت اللّغويّ ، فالقرآن الكريم اختارها بدقّة لتدلّ على مقاصده في كلّ موضع وردت فيه.

٨- أن القرآن الكريم وظّف الحروف الاهتزازية توظيفا يقصد منه تصوير المواقف بما تحتويه الأصوات اللّغويّة من دلالات.

٩- من مظاهر الإعجاز في الحروف الاهتزازية مناسبة أصواتها لمعانيها فلا يمكن أن تجد هذه المناسبة العجيبة في أي نص لغوي غير القرآن الكريم.

ثانيا: أبرز التوصيات.

١- ضرورة البحث في الجوانب المختلفة للإعجاز القرآني، ومنها الإعجاز اللغوي.

٢- إجراء دراسات حول أثر الحروف الاهتزازية في التفسير.

٣- قيام دراسات علمية حول الإعجاز الصرفي لألفاظ القرآن الكريم حيث إنه من أهم مجالات الإعجاز القرآني.

٤- التأكيد على أهمية الدراسات اللغوية لألفاظ القرآن كونها من أكبر المعين على تفسيره.

ولعلي بهذا البحث المتواضع أكون قد أديت بعض الواجب على ،وكَشفت عن بعض أوجه الإعجاز لهذه الحروف الاهتزازية.

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾.[1]

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

(١) سورة البقرة من الآية: ٢٨٦.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .جل من أنزله.

١. الإتقان في علوم القرآن للإمام: السيوطي تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب ط:٣. ١٣٩٤هـ . ١٩٧٤م.
٢. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم. أبو السعود محمد بن محمد العمادي (ت . ٩٨٢هـ). دار إحياء التراث العربي . بيروت.
٣. الأساس في التفسير، للشيخ : سعيد حوّى (ت ١٤٠٩ هـ)،ط: دار السلام – القاهرة ط: السادسة، ١٤٢٤ هـ .
٤. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشيخ : محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الشنقيطي (ت : ١٣٩٣هـ)،ط: دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان، ط :أولى، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م .
٥. إعجاز القرآن للإمام: أبى بكر الباقلاني محمد بن الطيب للباقلاني (ت: ٤٠٣هـ)،تحقيق: السيد أحمد صقر، ط: دار المعارف – مصر، الطبعة : الخامسة، ١٩٩٧م .
٦. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، للشيخ: مصطفى صادق بن عبد الرزاق الرافعي (ت: ١٣٥٦هـ)،ط: دار الكتاب العربي – بيروت ، الطبعة الثامنة – ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٥م.
٧. إعراب القرآن: لأبى جعفر النَّحَّاس المرادي النحوي (ت: ٣٣٨هـ)تحقيق: عبد المنعم خليل إبراهيم، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ .

٨. الأعلام . للأستاذ: خير الدين بن محمود الزركلي الدمشقي (ت: ١٣٩٦هـ)،ط: دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر – ٢٠٠٢ م.
٩. أنوار التنزيل وأسرار التأويل .الإمام: ناصر الدين أبو سعيد الشيرازي البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ) تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: الأولى – ١٤١٨ هـ.
١٠. البحر المحيط في أصول الفقه . بدر الدين الزركشي. تح لجنة من علماء الأزهر. دار الكتبي. ط٣. ١٤٢٤هـ– ٢٠٠٥م.
١١. البحر المحيط في التفسير . للعلامة . أبو حيان محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي (ت:٧٤٥هـ) تحقيق: صدقي محمد جميل دار الفكر . بيروت .ط:١. ١٤٢٠هـ.التفسير الوسيط للواحدي .
١٢. البرهان في علوم القرآن للإمام: الزركشي . تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ط: دار إحياء الكتب العربية البابي الحلبي . مصر. الطبعة: الأولى. ١٣٧٦ هـ . ١٩٥٧ م. المفردات في غريب القرآن
١٣. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز،لمجد الدين الفيروزآبادى (ت: ٨١٧هـ)،تحقيق: محمد علي النجار، ط: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.
١٤. بلاغة الكلمة في التعبير القرآني . فاضل صالح السامرائي ..شركة العاتك للطباعة القاهرة ،ط:الثانية،١٤٢٧هـ . ٢٠٠٦م.
١٥. البنى الأسلوبية – دراسة في أنشودة المطر للسياب – د. حسن ناظم. ط: المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط: أولىن ٢٠٠٢م.

١٦.بيان إعجاز القرآن ،للإمام: أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم المعروف بالخطابي (ت: ٣٨٨هـ)،تحقيق: محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام، ط: دار المعارف بمصر، الطبعة : الثالثة، ١٩٧٦م .

١٧.تاج العروس من جواهر القاموس . الإمام: محمّد بن محمّد بن عبدالرزّاق الحسيني الزَّبيدي (ت: ١٢٠٥هـ). تحقيق: مجموعة من تحقيقين ط: دار الهداية.

١٨.علاقة الصوت بالمعنى في صيغة الفعل الرباعي . فراس عبدالعزيز عبدالقادر .

١٩.تاريخ آداب العرب ، للشيخ: مصطفى صادق بن عبد الرزاق الرافعي (ت: ١٣٥٦هـ) ط:أولى ،ط: دار الكتب العلمية، بيروت. ، ١٤٢١هـ . ٢٠٠٠م.

٢٠.التبيان في إعراب القرآن، لأبى البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (ت : ٦١٦هـ) تحقيق : علي محمد البجاوي، ط : عيسى البابي الحلبي وشركاه.

٢١.التبيان في علم المعاني والبديع والبيان، شرف الدين الطيبي، الحسين بن محمد بن عبد الله، (ت. ٧٤٣ هـ)،تحقيق هادي عطية مطر الهلالي، ط: عالم الكتب، بيروت ، ١٤٠٧ = ١٩٨٧م.

٢٢.التحرير والتنوير. للأستاذ الشيخ محمد الطاهر بن عاشور. الحلبي. ط:١. ١٣٨٤هـ.١٩٦٤م.

٢٣.تصوير الانفعالات النفسية في القرآن الكريم . دراسة فنية، إعداد: صالح ملا عزيز، ط أولى ،ط كلية التربية، جامعة صلاح الدين.

٢٤.التعبير القرآني والدلالات النفسية . للدكتور: عبد الله محمد الجيوسي . دار الغوثانى للدراسات القرآنية . دمشق . ط:أولى . ١٤٢٦ . ٢٠٠٦م.

٢٥.التعريفات .للسيد الشريف الجرجاني . تحقيق إبراهيم الإبيارى. دار الريان للتراث . القاهرة.

٢٦.تفسير القرآن الحكيم المسمى تفسير المنار. الإمام الشيخ محمد عبده. ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٢م.

٢٧.تفسير القرآن العظيم . أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (ت: ٧٧٤هـ).تحقيق سامي محمد سلامة. دار طيبة للنشر والتوزيع ط: ٢. ١٤٢٠هـ.١٩٩٩م.

٢٨.التفسير القرآني للقرآن، للشيخ: عبد الكريم يونس الخطيب ،(ت: بعد ١٣٩٠هـ)،ط: دار الفكر العربي – القاهرة.

٢٩.تفسير الماوردي النكت والعيون . لأبى الحسن علي بن محمد الشهير بالماوردي (ت: ٤٥٠هـ)،تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان.

٣٠.تفسير المراغي: أحمد بن مصطفى المراغي (ت: ١٣٧١هـ)،ط: البابي الحلبي بمصر ،ط: الأولى، ١٣٦٥ هـ – ١٩٤٦م.

٣١.جامع البيان في تأويل القرآن للعلاَّمة: محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ).تحقيق: أحمد محمد شاكر. مؤسسة الرسالة .بيروت. ط:١. ١٤٢٠ هـ . ٢٠٠٠م.

٣٢.الجامع لأحكام القرآن ،لأبى عبد الله القرطبي (ت: ٦٧١هـ)،تحقيق: أحمد البردوني ،وإبراهيم أطفيش، ط: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م.

٣٣.جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب، ماهر مهدي هلال ،دار الحرية للطباعة– بغداد.١٩٨٠م.

٣٤.جماليات الحركة في التعبير القرآني . للدكتور: صالح ملا عزيز، م. باحثة: فضيلة أحمد سعيد، ط:أولى. كلية التربية للعلوم ،جامعة صلاح الدين ، أربيل ،العراق.

٣٥. جواهر الألفاظ، لأبى الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي، تحقيق الشيخ: محمد محى الدين عبد الحميد. بدون تاريخ أو رقم طبعة.

٣٦. الحروف لفخر الدين الرازي . ضمن ثلاثة كتب في الحروف للخليل بن أحمد، وابن السكيت ،والرازي. تحقيق. دكتور: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط:أولى ،١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

٣٧.الخصائص ، للإمام: أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت: ٣٩٢هـ)،ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر.

٣٨.خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية .للدكتور عبد العظيم إبراهيم المطعنى، ط: مكتبة وهبه . القاهرة ،ط: أولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

٣٩.خصائص الحروف العربية . للدكتور: حسن عباس ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ،ط: أولى ،١٩٩٨م.

٤٠.د. محمد حسن حسن جبل، ط: مكتبة الآداب – القاهرة، الطبعة: الأولى، ٢٠١٠ م.

٤١.الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للإمام: أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف السمين الحلبي (ت: ٧٥٦هـ) ،تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، ط: دار القلم، دمشق. سوريا.

٤٢.دراسات فنية في صور القرآن . الدكتور محمود البستاني . ط:أولى . ط: دار الكتب العلمية ،بيروت، لبنان.

٤٣.دراسة الصوت اللغوي، د. أحمد مختار عمر. ط :أولى ،ط: عالم الكتب . القاهرة . ٢٠٠٤م.

٤٤.دَرْجُ الدُّرر في تَفسِيرِ الآيِ والسُّوَر، لأبى بكر الفارسي الجرجاني (ت: ٤٧١هـ)تحقيق :طلعت صلاح الفرحان، محمد أديب شكور ،ط: دار الفكر – عَمان، الأردن، ط: الأولى، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩م.

٤٥.دلالات الظاهرة الصوتية في القران الكريم .دكتور: خالد قاسم بني دومي، ط:أولى ،ط: دار جدار للكتاب العالمي، ٢٠٠٦م.

٤٦.دلالة الألفاظ، للدكتور: إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، الطبعة الخامسة، ١٩٨٤م.

٤٧.الدلالة النفسية للألفاظ في القرآن الكريم . أطروحة دكتوراه، للباحث محمد جعفر محيسن العارضي ، كلية الآداب بجامعة القادسية، العراق.١٤٢٣هـ . ٢٠٠٢م.

٤٨.دلائل الإعجاز في علم المعاني للشيخ: أبى بكر عبد القاهر الجرجاني المحقق: محمود محمد شاكر.طبع المدني بالقاهرة .الطبعة: الثالثة ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.

٤٩.رسالة أسباب حدوث الحروف. للشيخ الرئيس أبى على الحسين بن عبد الله ابن سينا. تحقيق: محمد حسان الطيان، يحيى مير علم.طبع مجمع اللغة العربية . دمشق. بدون تاريخ.

٥٠.روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للإمام: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت: ١٢٧٠هـ)،تحقيق:

علي عبد الباري عطية، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى، ١٤١٥ هـ.

٥١.زاد المسير في علم التفسير. للإمام جمال الدين بن الجوزي . تحقيق: عبد الرزاق المهدي .دار الكتاب العربي . بيروت . ط:١. ١٤٢٢هـ.

الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة لمكي بن أبي طالب تحقيق د. أحمد حسن فرحات، دار الكتب العربية.

٥٢.الشافية في علمي التصريف والخط .لعثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس، الحاجب الكردي المالكي .تحقيق: الدكتور صالح عبد العظيم الشاعر. ط: مكتبة الآداب – القاهرة. الطبعة: الأولى، ٢٠١٠ م.

٥٣.شرح مختصر ابن الحاجب. لشمس الدين محمود بن عبد الرحمن الأصبهاني. تح د. علي جمعة. دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع. القاهرة ط١. ١٤٠٩هـ -٢٠٠٤م.

٥٤.الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لأبى نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: ٣٩٣هـ)،تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م.

٥٥.صحيح البخاري للإمام: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي. تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر. دار طوق النجاة .ط:١. ١٤٢٢هـ.

٥٦.صحيح مسلم للإمام مسلم بن الحجاج القشيري(ت: ٢٦١هـ) .تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء التراث العربي. بيروت.

٥٧.الصوت اللغوي في القرآن . للدكتور: محمد حسين على الصغير . دار المؤرخ العربي ،بيروت ،لبنان، ط: أولى ١٤٢٠هـ . ٢٠٠٠م.

٥٨.الصورة الفنية للمثل القرآني . د: محمد حسن على الصغير ،دار الرشيد للنشر . بغداد . ط:أولى . ١٩٨١م. ط: الثالثة، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

٥٩.الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، للشيخ: يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الملقب بالمؤيد باللَّه (ت: ٧٤٥هـ)،ط: المكتبة العنصرية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ.

٦٠.غريب القرآن المسمى بنزهة القلوب ،للإمام : محمد بن عُزير السجستاني، (ت : ٣٣٠هـ)،تحقيق : محمد أديب عبد الواحد جمران، ط: دار قتيبة – سوريا، ط : الأولى ، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥م.

٦١.غريب القرآن ،للإمام: أبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦هـ)،تحقيق: أحمد صقر، ط: دار الكتب العلمية ،بيروت ، ط:أولى ، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨م.

٦٢.فتح الباري شرح صحيح البخاري، للإمام: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ،ط: دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩هـ.

٦٣.الفقه الإسلامي وأدلته، د. وَهْبَة بن مصطفى الزُّحَيْلِيّ، ط:أولى ،ط: دار الفكر ،دمشق – سوريَّة .الطبعة: الرَّابعة علم الأصوات وأصوات اللغة العربية، الرعاية لمكي بن أبي طالب. تحقيق د. احمد حسن فرحات، دار الكتب العربية.

٦٤.في البحث الصوتي عند العرب .خليل إبراهيم ، منشورات دار الجاحظ ، بغداد، ١٩٨٣م.

٦٥.في النص القرآني وأساليب تعبيره، د. زهير غازي زاهد. ط:أولى ،ط: دار صفاء، عَمان، الأردن، ٢٠١٢م.

٦٦.في جمالية الكلمة " دراسة جمالية بلاغية نقدية " د. حسين جمعة. منشورات موقع اتحاد الكتّاب العرب على شبكة الإنترنت.

٦٧.القرآن وعلم النفس دكتور: محمد عثمان نجاتي، ط:دار الشروق، مصر، ط: السابعة،١٤٢١هـ . ٢٠٠١م.

٦٨.الكتاب . للإمام: أبى عمرو بن عثمان بن قنبر الملقب سيبويه (ت: ١٨٠هـ)،تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط: مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

٦٩.كتاب العين. أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري (ت: ١٧٠هـ).تحقيق د: مهدي المخزومي. د: إبراهيم السامرائي. دار ومكتبة الهلال. مصر.

٧٠.كشاف اصطلاحات الفنون للعلامة محمد بن علي التهانوي . تحقيق د. رفيق العجم وآخرون. مكتبة لبنان. ط: ١ -١٩٩٦م.

٧١.الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل . للإمام جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت:٥٣٨هـ) دار الكتاب العربي . بيروت .ط:٣. ١٤٠٧هـ.روح المعاني.

٧٢.الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية. لأبى البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي الحنفي(ت: ١٠٩٤هـ).تحقيق: عدنان درويش .مؤسسة الرسالة . بيروت. جامع العلوم في اصطلاحات الفنون .

٧٣.اللباب في علوم الكتاب، لأبى حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي (ت: ٧٧٥هـ)،تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود

والشيخ علي محمد معوض، ط: دار الكتب العلمية – بيروت ، لبنان، ط: الأولى، ١٤١٩ هـ –١٩٩٨م.

٧٤.لسان العرب . العلامة ابن منظور. تحقيق عبد الله على الكبير وآخرون. دار المعارف . مصر. ١٣٩٩هـ . ١٩٧٩م.

٧٥.مباحث في علوم القرآن، للشيخ: مناع بن خليل القطان (ت: ١٤٢٠هـ)،ط: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع

٧٦.المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ،للإمام: ضياء الدين بن الأثير (ت: ٦٣٧هـ)،تحقيق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة

٧٧.المختصر في أصوات اللغة العربية، دراسة نظرية وتطبيقية، د: محمد حسن حسن جبل ،مكتبة الآداب ،القاهرة،ط:الرابعة،١٤٢٧هـ . ٢٠٠٦م.

٧٨.المزهر في علوم اللغة وأنواعها، للإمام: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)،تحقيق: فؤاد علي منصور، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ ١٩٩٨م.

٧٩.المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم (مؤصَّل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها)

٨٠.معجم الرباعي المكرر في العربية د. عبد الرحمن مطلك الجبوري . مجلة الأستاذ . العدد (٢٠٥)،المجلد الأول ٢٠١٣م . ١٤٣٤هـ.

٨١.المعجم المفهرس لألفاظ القرآن .للأستاذ :محمد فؤاد عبد الباقى، ط: دار الكتب المصرية، ١٣٦٤م.

٨٢.المعجم الوسيط. إبراهيم مصطفى . أحمد حسن الزيات . مجمع اللغة العربية . مصر. ط:الرابعة،١٤٢٥هـ . ٢٠٠٤م.

٨٣.معجم مقاييس اللغة . العلامة أحمد ن فارس ابن زكريا. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. دار الجيل . بيروت. ط:الأولى.

٨٤.مفاتيح الغيب . التفسير الكبير . للإمام: أبى عبد الله محمد بن عمر الرازي الملقب بفخر الدين الرازي . ط: دار إحياء التراث العربي . بيروت ط:٣. ١٤٢٠هـ.

٨٥.المفردات في غريب القرآن. للراغب الأصفهاني تحقيق: صفوان عدنان الداودي .دار القلم. دمشق. ط:١. ١٤١٢هـ..

٨٦.مقال بعنوان :آية الليل د: زغلول النجار، نشر بموقع موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

٨٧.مقال بعنوان :من أسرار القرآن (وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ * وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ) (التكوير: ١٧، ١٨)،موقع دكتور: زغلول النجار، (zaghloulalnaggar.com)،بتاريخ ٢٠٢١/٠١/٢٩م.

٨٨.مناهج البحث في اللغة ، د. تمام حسان . مكتبة الأنجلو – مصر. ط: أولى،١٩٩٠م.

٨٩.المهَذَّبُ في تفسيرِ جزءِ عَمَّ ،للأستاذ: علي بن نايف الشحود .

٩٠.موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، للأستاذ: محمد راتب النابلسي، ط: دار المكتبي – سورية – دمشق ، ط: الثانية ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.

٩١.الموسوعة العربية العالمية . مؤسسة سلطان بن عبد العزيز الخيرية. ط:٢. ١٤١٩هـ . ١٩٩٩م.القاموس المحيط .

٩٢.النحو الوافي .للدكتور: عباس حسن. ط: دار المعارف . مصر الطبعة: الطبعة الخامسة عشرة.

٩٣.نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، للإمام: جمال الدين أبو الفرج بن محمد الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)،تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، ط: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م.

٩٤.نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. للعلامة البقاعي. دار الكتاب الإسلامي القاهرة. ط:١.وظيفة الصورة الفنية في القرآن . عبد السلام أحمد الراغب .

٩٥.النهاية في غريب الحديث والأثر، للإمام: مجد الدين أبو السعادات ابن الأثير (ت: ٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي ،ط: المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.